

الفصل الأول

مفهوم الشخصية عبر التراث السيكولوجي

المحتويات :

مقدمة :

طبيعة الشخصية

مكونات الشخصية :

محددات الشخصية

دينامية الشخصية :

الفصل الأول

مفهوم الشخصية عبر التراث السيكولوجي (النفسي)

مقدمة :

يمكن عد موضوع الشخصية من الموضوعات الرئيسة في كل فروع علم النفس بل يمكن عدّها البداية والنهاية بالنسبة لعلم النفس بصفة عامة . فالشخصية في نموها وتغيرها في اثناء مراحل نمو الفرد يتناولها علم النفس التربوي ، لأن احد اهداف علم النفس التربوي متابعة نمو شخصية الطفل حتى يصبح يافعاً، ومتابعة خصائص نموها في كل مرحلة التي تعبر عن شخصيته فيما بين السواء والمرض والشخصية كما تتفاعل مع الاخر ومع المجتمع يتناولها بالبحث والدراسة علم النفس الاجتماعي، الذي يعني بدراسة دينامية الفرد والجماعة والشخصية في توافقها وانسجامها مع نفسها ومع الاخر يتناولها علم النفس الكلينيكي ، الذي يهدف الى تفهم وعلاج حالات عدم السواء والشخصية كما تنتج وتصنع وتتفاعل مع الاله يتناولها علم النفس الصناعي ، وهكذا نجد الشخصية في علم النفس الحربي، والجنائي، والإداري، والتجاري..... الخ فهي ركيزة علوم النفس المختلفة بل هي ركنها الركين (عزيز حنا، ١٩٦٠ الشخصية والصحة النفسية) .

طبيعة الشخصية

• كلمة شخصية Personality مشتقة من الأصل اللاتيني Persona بمعنى ذلك القناع الذي كان يلبسه الممثل في العصور القديمة ليؤدي دوره

على خشبة المسرح فيظهر امام الجمهور بمظهر خاص يتمشى ويساير طبيعة دوره المسرحي فهو هنا ملك أو صعلوك .

وقد تبنى هذا المفهوم بعض علماء النفس فعُدوا الشخصية هي المظهر الخارجي للفرد كما يتمثل في سلوكه الظاهري Overt Behaviour وكان من نتيجة الدراسات والأبحاث الكثيرة المتلاحقة ان عدل بعض علماء النفس هذا المفهوم وتكلموا عن جوهر الشخصية كما تكلموا عن الأعماق والأغوار في النفس البشرية. على اية حال تعددت البحوث في مجال دراسة الشخصية وانتشرت ، ثم تعددت المفاهيم والتعاريف الخاصة بها ، الا انه يمكننا ان نميز بين اتجاهين رئيسيين يؤثران في دراسات الشخصية.

أولهما ذلك الاتجاه الذي يضم بعض علماء النفس المهتمين بالأفعال السلوكية اي بطريقة الملاحظة الخارجية . وثانيهما بعض العلماء المهتمين بالمدرجات او المفاهيم الديناميكية او القوة المركزية الداخلية التي توجه الفرد. من الاتجاه الأول يظهر تعريف ماتسون Matson عام ١٩٣٠ الذي يعد الشخصية هي كمية النشاط التي يمكن اكتشافها بالملاحظة الدقيقة لمدة طويلة حتى يتمكن الملاحظ من اعطاء معلومات دقيقة وثابتة.

ومن الاتجاه الثاني نجد تعريف مورتن برنس Morton Prince عام ١٩٣٤ الذي يعد الشخصية: هي الكمية الكلية من الاستعدادات والميول والغرائز والدوافع والقوى البايولوجية الفطرية والموروثة ، وكذلك الصفات والاستعدادات والميول المكتسبة من الخبرة.

ويعد كل من التعريفين السابقين قاصراً ، لأنه يصور جانباً واحداً من الشخصية ولا يندمج أحدهما في الآخر. فالأول خارجي يهتم بالسلوك الناتج عن الفرد كما يراه غيره والآخر يهتم بالمكونات الداخلية للفرد التي توجهه

وتحدد سلوكه. ولا يمكن أيضاً الحكم بتعارض التعريفين بسبب عدم وجود معلومات واضحة مباشرة عن الغرائز والاستعدادات والدوافع، فهي مفاهيم مبتكرة لتوحيد وتوضيح الأفعال السلوكية الملاحظة والنتيجة عن الفرد، وبدون تلك الأفعال السلوكية لا يكون للمدركات أو المفاهيم أي معنى محدد. فالملاحظة الدقيقة لسلوك الفرد لا تكفي بمفردها للحكم عليه، بل يجب أن يصاحبها مدركات ومفاهيم لإعطاء معان أو ترجمات لتلك الأفعال السلوكية في المواقف المختلفة. والتعريف الدقيق للشخصية يجب أن يهتم بالمنع الذاتي للوقائع وبالطبيعة النظرية لتوحيد المدركات أو المفاهيم وفيما يأتي بعض هذه التعاريف :

يعرف مكنون Maknon عام ١٩٤٤ الشخصية بأنها «التنظيم الثابت لخلق الفرد وصفاته المزاجية وذكائه وصفاته الجسمية، حيث تحدد بأنماجها معاً توافقه مع البيئة» والمقصود بخلق الفرد مدى ثبات سلوك الفرد الإرادي (العزيمة) والمقصود بالصفات المزاجية هو مدى ثبات السلوك الانفعالي التأثيري «العاطفة» والمقصود بالذكاء مدى ثبات سلوك الفرد المعرفي (العقل). والمقصود بالصفات الجسمية مدى ثبات تكوين الفرد الجسيمي وافرازات غدده الصماء وحالة جهازه العصبي المركزي والأوتونومي. ويظهر من هذا التعريف أهمية التكوين أو التنظيم وهذه الأهمية تضاد تماماً نظرية تخصص السلوك. (عزيز حنا، ١٩٦٠)

ويعرف البورت Allport عام ١٩٣٧ : « الشخصية بأنها التنظيم الديناميكي في نفس الفرد لتلك الاستعدادات النفسية الجسمية التي تحدد طريقته الخاصة في التوافق مع البيئة »

والمقصود بالتنظيم الديناميكي أن تكوين الشخصية لا يكون ثابتاً بل أنه يتغير ويتبدل بمرور الوقت، وتحت مؤثرات بيئية واجتماعية وثقافية مختلفة.

ويقصد بالاستعدادات النفسية الجسمية العادات والاتجاهات العامة والخاصة وكذلك العواطف بمعنى ان الشخصية نتاج العقل والجسم في وحدة متكاملة. ويعرفها بيرت Burt سنة ١٩٣٧ بأنها: « النظام الكامل من الميول والاستعدادات الجسمية والعقلية الثابتة نسبياً. التي تعد مميزة للفرد وتحدد طريقته الخاصة في التوافق مع البيئة المادية والاجتماعية » .

ويشترك كل من التعريفين السابقين في تأكيد فكرة تكامل الشخصية اي انها ليست مجرد مجموعة صفات، وانما هي وحدة مندمجة تعمل كلها فهي تشبه المركب في الكيمياء .

يهتم كل من التعريفين السابقين بأهميته البيئة واثار صفات الفرد في توافقه معها. ويشير البورت في تعريفه الى فكرة الديناميكية في الشخصية اي التفاعل المستمر بين عناصرها بينما يشير بيرت في تعريفه الى فكرة الثبات النسبي اي اهمية عناصر الشخصية التي لا تتغير كثيراً بمرور الزمن ، وهي الصفات التي يصبح الاستناد اليها في الحكم على الشخصية.

ومن اجمال هذه التعاريف المتشابهة والمتباينة يمكن ان نحدد تعريفاً علمياً Working definition يوصف مدخلا لدراسة الشخصية على النحو الاتي : « الشخصية هي ذلك التنظيم المتكامل الديناميكي الذي يتميز به الفرد ، وتتكون من التفاعل المستمر المتبادل بين المنظومات Systems النفسية والجسمية ومؤثرات البيئة المادية ، والاجتماعية » . عزيز حنا ١٩٦٥ ، الصفات الشخصية اللازمة للنجاح في مهنة التدريس .

نخلص من هذا الى ان الشخصية تنقسم على ١- منظومات جسمية وفسيوولوجية ٢- منظومات معرفية ، ٣- منظومات مزاجية ، ٤- منظومات بيئية واجتماعية وثقافية .

فالمنظومات الجسمية والفسولوجية هي التي تتعلق بالشكل العام للفرد وصحته من الناحية الجسمية- اي نموه الجسمي من حيث الطول والوزن واتساق الأعضاء وحالة الغدد وافرازاتها وبخاصة الغدد الصماء» «مديسة القنوات» كالغدة النخامية، والغدة الدرقية والغدة فوق الكلوية..... الخ وكذلك المظاهر الحركية التي تشير الى توافق الأعضاء في حركتها واخيراً العاهات والأمراض الجسمية . من هذا يتضح ان كل تلك العوامل الجسمية والفسولوجية تؤثر في تكوين الشخصية، لا بد من معرفتها لدراسة الشخصية خصوصاً الشخصيات المريضة أو الشاذة، إذ انه كثيراً ماتلقي هذه المنظومات الجسمية والفسولوجية الضوء على النواحي النفسية بقسميها المعرفية والمزاجية كذلك النواحي الاجتماعية .

والمنظومات المعرفية هي التي تتعلق بالوظائف العقلية العليا كالذكاء العام والقدرات الخاصة كالقدرة اللغوية، القدرة العددية، القدرة الميكانيكية ، القدرات الفنية الخ كذلك العمليات العقلية العليا «المعرفية» كالانتباه والأدراك والتذكر والتخيل والتفكير والذكاء. وتظهر هذه المنظومات نبوغ الفرد في مهنة معينة او دراسة معينة، كما يمكن ان تظهر الاتجاه الثقافي العام للفرد الذي دعاً بعض علماء النفس الى تقسيم الشخصية وفق النمط الثقافي الخاص ، وعلى سبيل المثال قسم سبرانجر Spranger الشخصية وفق الميول الثقافية على فرد تغلب عليه الثقافة النظرية واخر تغلب عليه الثقافة الاقتصادية. وثالث تغلب عليه الثقافة الدينية أو الثقافة الفنية أو الاجتماعية أو السياسية .

والمنظومات المزاجية تتضمن اساليب النشاط الانفعالي النزوعي التي تفسر بالدوافع المختلفة. ويظهر هذا التنظيم ميول الشخص ورغباته وسماته المزاجية

كالتى نرمر لها بالثبوت الأنفعالي او الأنطواء او الميل الاجتماعي او الميل للسيطرة او الخنوع او الميل للنشاط أو الكسل .

وهناك نفسيمات كثيرة لنماذج الشخصية من الناحية الأنفعالية أكثرها انتشاراً التقسيم الرباعي لابوقراط Hippocrates في القرن الخامس قبل الميلاد وهي المتفائل sanguine «الدموي» الشجاع المنفعل «الصفراوي» Cxholeric المتأمل الميلانخوليا «السوداوي» Melancholy البليد الكسول «اللفاوي او البلغمي» Phlegmatic

وترتبط تلك السمات المزاجية بالخصائص الجسمية كالطول او القصر البدانة او النحافة، واشكال العضلات والتكوين العظمي وتعبيرات الوجه.... الخ كما ان هناك تقسيماً شائعاً ايضاً قدمه يونج Jung عام ١٩٣٣ وهو المنطوي والمنبسط، الأول يتركز حول عالمه الذاتي ، والثاني يتجه نحو العالم والآخرين .

كما قدم وليم شلدون Sheldon W. عام ١٩٤٢ تقسيماً ثلاثياً يربط ما بين نمط الجسم والمزاج .

اذ يوجد النمط الخارجى (أكتومورفي) Ectomorphy وهو نمط نحيل يحكمه الجهاز العصبي، ويتسم الشخص بالذكاء والجدية والقلق .
والنمط المتوسط (ميزومورفي) Mesomorphy وهو نمط متوسط قوي البنية يحكمه العظام والعضلات ، ويتسم الشخص بالآتران الأنفعالي .
والنمط الداخلى (اندومورفي) Endomorphy وهو نمط سمين حشوي تحكمه القناة الهضمية ويتسم الشخص بالمرح والبساطة. (انظر الفصلين الثاني والثالث)

والمنظومات الاجتماعية تتمثل في اتجاهات الفرد وقيمه في الدرجة الأولى حيث يتضح ذلك فيما يفضل الفرد وما يقبله او يرفضه ، فهذا شخص متحرر وذاك محافظ ، حيث يفضل الأول ويوافق على قضايا جدلية مثل تحديد النسل ، ومساواة المرأة بالرجل في التعليم والعمل وفي اختيار شريك الحياة كما يوافق على النظم التي تتيح حرية الطلاق ويميل للتجديد في النظم السياسية بينما نجد الآخر يرفض الموافقة على مثل تلك الموضوعات .

وليس من شك ان تكوين مثل تلك الاتجاهات والقيم انما يمتص اصلاً اساساً من الظروف البيئية والاجتماعية التي يعيش فيها الفرد ، في ضوء انعكاسات اراء مفاهيم وقيم الكبار من حول الفرد ، في المنزل والمدرسة والمجتمع . وتلعب عوامل التربية ووسائل الاعلام والدعاية دوراً كبيراً في تكوين اتجاهات معينة وتعديل وتغيير اتجاهات اخرى .

وقبل ان ننهي حديثنا عن الشخصية من ناحية طبيعتها وتعريفها لابد وان نشير الى نوع من التعاريف الذي يستخدم كثيراً هذه الأيام اذ يشير هذا النوع من التعاريف بالنسبة لأي ظاهرة الى المظاهر الاجرائية التي تسمح بملاحظة الظاهرة واعادة تكوينها والتنبؤ بها والتحكم فيها ، كل ذلك حتى تتمكن من دراسة الظاهرة دراسة تجريبية مبنية على الملاحظة والقياس هذا النوع من التعاريف يسمى بالتعريف الاجرائي ، حيث يحدد هذا النوع من التعاريف الظاهرة عن طريق تحديد العمليات والاجراءات التي تؤدي بنا الى ملاحظة وقياس تلك الظاهرة . اما التعاريف الأخرى التي تستخدم الفاظاً أو مفاهيم لاتسمح بالملاحظة او بالقياس انما هي تعريفات لاتفيد من وجهة النظر العلمية . فأفترض ان هناك قوة في داخل النفس توجه السلوك وتصوغه او ان مانراه في الشخصية هو مظهر خارجي لشيء كامن في الداخل ، فإن

التعريف من هذا النوع تحيلنا الى قوى او مكونات غيبية، لاتخضع بالطبي
للملاحظة او للقياس وعليه تعد مفاهيم غير مفيدة من وجهة النظر العلمية
وفيما يأتي نقدم تعريفاً اجرائياً للشخصية:

«الشخصية مفهوم أو اصطلاح أو لافته او تسمية تصف الفرد من حيث
كونه كلاً موحداً متكاملًا من اساليب معقدة التنظيم، هذه الأساليب
السلوكية تميز الفرد عن غيره من الناس خصوصاً في المواقف الاجتماعية
وهذه الاساليب يمكن ملاحظتها وقياسها»

نلاحظ هنا ان هذا التعريف ينظر الى الشخصية باعتبارها تسمية ومفهوماً
فهي ليست بشيء او محتوى معين كما تشير بعض التعاريف غير العلمية
السابقة، ونلاحظ أيضاً ان هذه التسمية تصف اساليب سلوكية قابلة للملاحظة
وقابلة للقياس وان هذه الأساليب السلوكية معقدة التنظيم، اي انها
متراصة متصلة ومكونة كلاً موحداً متكاملًا. ونلاحظ أيضاً ان الاهتمام
ينصب على الأساليب السلوكية التي تتضح او تلاحظ في المواقف الاجتماعية
بصفة خاصة. ومن هنا يتعد هذا التعريف عن المنظومات الجسمية أو المعرفية
«الجسم والعقل» وهذا لا ينفي ان هذه المنظومات في الفرد تدخل ضمن المؤثرات
في تكوين السلوك، بمعنى اننا لاننكر بطبيعة الحال المنظومات السابقة
الجسمية أو المعرفية من ناحية عملها وتأثيرها في انتاج السلوك. ولكنها
ليست الظاهرة نفسها اي ليست «الشخصية». فالشخصية كما ذكرنا حالياً
صفة تخلع على اساليب سلوك معينة في مواقف اجتماعية غالباً، فهي
ليست بشيء يتكون من عناصر وتركيبات والا نكون قد ابتعدنا عن التعريف
الاجرائي حين نفترض هذه الافتراضات الغيبية غير العلمية التي تعد المنظومات
المؤثرة في الفرد والتي تشكل سلوكه وكأنها اجزاء تكون الشخصية.

مكونات الشخصية :

مع تعدد الرؤى بالنسبة لمفهوم الشخصية وطبيعتها ، وكثرة النظريات وفق هذه الرؤى ، يكون من الطبيعي تعدد صور مكونات الشخصية وفقاً لهذه الأطر النظرية المتباينة .

فالمكونات عند فرويد Freud تتمثل في كونها أي الشخصية جهازاً أو منظومة تتضمن ثلاث منظومات فرعية هي الهو Id ، الانا Ego ، و الاعلى Super ego «الهو» منظومة فرعية تحتوي على كل ما هو غريزي ويتطلب الأشباع وفقاً لمبدأ اللذة . «الانا» وتتبنى من الهو كي تواجه مطالب الواقع والمجتمع فهي مسابرة لمطالب هذا الواقع ، ثم تخضع لمبدأ الواقع . ثم تنمو المنظومة الفرعية الثالثة «الانا العليا» التي تختص بالقيم والمثل والقوانين والدين والأخلاق .. الخ . من مفاهيم متمسكة بدءاً من الوالدين ، وانتهاء بالمؤسسات القانونية والدينية ، ومروراً بالتطبيع الاجتماعي والتربية المنزلية والمدرسية . والمنظومات الثلاث تعاد على المستوى اللاشعوري .

والمكونات عند يونج Jung تتمثل في «الانا» Ego أو «الذات» وتعد منظومة شعورية تعمل على التناغم بين الغرائز الفطرية الحيوانية التي ولد بها الإنسان ، وبين مطالب المجتمع وقيمه ومثله أي أنها تعمل بوعي . وقد استخدم المكون نفسه «الذات» Self أساساً في الشخصية كثير من علماء النفس البارزين منهم كارل روجرز Carl Rogers سنة ١٩٥١ و جولدشتاين Goldstein ١٩٤٠ ، وماسلو Maslow ١٩٥٤ . أما أوتورانك Otto Rank ١٩٥٢ فقد تصور الشخصية في ضوء مكونين أساسيين هما : الإرادة Will ومضاد الإرادة counter will وهما في حالة صراع دائم

بين الاستقلال والتبعية ، الاستقلالية لتحقيق الإرادة ، «المغايرة» والتحقق الانتماء «المسايرة» .

• تصور البورت Allport ١٩٣٧ ان المكون الأساسي للشخص

هو مجموعة من السمات قسمها على سمة -كبرى قلبية cardinal

• مجموعة صغيرة من السمات الأساسية او المركزية central

ومجموعة ثالثة من السمات الثانوية Secondary ويتصور البورت

لهذه السمات وجود حقيقي واسهم كاتل Cattell ١٩٦٥ في

الإطار بأن افرز مجموعة من السمات العميقة Source traits ومجمو

اخرى من السمات السطحية Surface traits وقد حاول كاتل ان ي

هذه المجموعة من السمات بالتحليل العاملي وتوصل الي مجموعة

العوامل Factors ، والعامل مفهوم احصائي يعبر عن مدى تشبع العا

بمجموعة السمات المرتبطة به ارتباطاً موجباً عالياً .

وقدم هنري موراي Murray ١٩٣٨ تصوراً مغايراً لهذه المفاهيم

تكون الشخصية فقدم قائمة تتراوح بين ٢٠-٣٨ حاجة بعضها حاجا

ظاهرة Overt needs والبعض الآخر حاجات منه كامنة latent needs

وهي بمثابة الأساس المكون للشخصية .

وقدم ليفين lewin ١٩٣٥ نظرية «المجال» Field وطرح من خلا

مفاهيم جديدة عدت بمثابة مكونات للشخصية إذ ادخل مفاهيم عن الوس

والموقف من حول الفرد ، فقدم ما يسمى بحيز الحياة life-space الذي

يعبر عن حاجات الفرد والأماكن الفعلية للموقف كما يدرك

الفرد، وقدم ما يعرف بالتكافؤات valences التي تحدد الجوانب المرغو

او غير المرغوبة بالنسبة لحيز الحياة ، كذلك قدم مفهوم المتجه

Vectors اذ تشير الى اتجاهات الجذب والحواجز العائقة امام الهدف ،
عدّ ليفين سلوك الشخص دالة لحيز الحياة اي التفاعل بين الشخص والبيئة
السيكولوجية .

وقدم ساربين Sarbin ١٩٥٤ مفهوم « الدور » role باعتباره مكوناً
اساسياً في الشخصية اذ يحدد هذا الدور سلوك الفرد بعده نتائجاً للتفاعل بين
«الذات» «والدور» .

وفي ضوء هذا تتضح لدارس الشخصية هذه الكثرة من التصورات وعليه
ان يختار منها موقفاً يعد بمثابة الإطار النظري الذي تتحدد في ضوئه المفاهيم
والتعاريف والمعطيات ، وكذلك وسائل القياس وادواته . وسوف نعرض
في الجزء الخاص بنظريات الشخصية تفصيل كل من
هذه النظريات او هذه الرؤى المتباينة وموقف كل منظر منها .

محددات الشخصية

المقصود بالمحددات هنا مجموعة المتغيرات أو المنظومات الأكثر حسماً
في تحديد مفهوم الشخصية ونموها . الا انه يمكن عد المنظومة البنائية
Structural system والمنظومة الاجتماعية Social System . اساسان
هامان في معظم التراث السيكولوجي الخاص بالشخصية ، وهما متفاعلان
عضوياً .

اولاً : المنظومة البنائية : Structural system

المقصود بالمنظومة البنائية/بنية الفرد من ناحية الأجهزة المختلفة كالجهاز
العصبي والجهاز الغددي والجهاز الدوري الخ. وكذلك الأنسجة
المختلفة والخلايا في تلك الأنسجة وفي الدم والعظام ويشترك افراد الجنس
البشري جميعاً وتحتوي خلايا الجسم على ٢٣ زوجاً من الكروموزومات .

احدها خاص بتجديد الجنس الذكر (x y) والأنثى (x x) . وهذا البناء يتمثل في الجانب البيولوجي وقد طرح دارون Darwin ١٨٥٩ نظريته المشهورة، عن الانتقاء الطبيعي التي ابرز فيها التطور البيولوجي في المملكة الحيوانية، اذ اثبت ان النمو في الكائن الحي Organism يسير وفق معدلات كمية وكلما ارتقى الكائن الحي في سلم المملكة الحيوانية، تعددت كمياً اعداد الخلايا والأنسجة، مما يشير الى التعقيد في البناء وهذا التعقيد يؤدي بدوره الى المزيد من الوظائف Functions وعلى سبيل المثال ان تعداد الخلايا العصبية في النصفين الكرويين في مخ الإنسان يتراوح بين ١٤-١٧ مليار خلية وهو أكبر رقم من الخلايا للجهاز العصبي المركزي في كل المملكة الحيوانية. ثم ان قلب الإنسان والتدييات عموماً يتكون من اربع غرف ويقل عن ذلك في الحيوانات الدنيا، فالطيور مثلاً يتكون قلبها من ثلاث غرف، وهكذا نزولاً في سلم المملكة الحيوانية نجد القلب ذا الغرفة الواحدة ثم نجد في الحيوانات الدنيا ان خصائص ووظائف القلب تقوم بها خلية واحدة كما هو الحال في الحيوانات الوحيدة الخلية Protozoa اي ان دارون عد البعد الكمي هو المحدد للخلافات أو التباينات في وظائف الكائن الحي، اي في فسيولوجيا الكائن «وظائف الأعضاء» وقد تأثر كثير من علماء النفس بهذا الطرح من جانب دارون، وظنوا ان ما هو موجود في الحيوانات الدنيا يوجد بدرجة أكبر في الحيوانات العليا في سلم التطور. وقد نحى الكثير من علماء النفس هذا المنحى وخاصة علماء نفس المدرسة السلوكية فأجروا دراساتهم وتجاربهم على الحيوانات وبخاصة التدييات كالقتران والقطط والكلاب، وكذلك على الطيور وحاولوا ان يعمموا - مع اختلاف في الدرجة - ما توصلوا اليه في دراستهم على هذه الحيوانات على الإنسان بأفترض ان الخلاف يكون في الدرجة وليس في

النوع. وقد توصل كثير من علماء نفس المدرسة السلوكية الى مجموعة من القوانين التي تحكم السلوك في الحيوان خصوصاً في مجال التعلم (واطسون) ثورنديك، سكرت وغيرهم، وقد حاولوا تعميم ذلك على تعلم الانسان. الا انه ثبت وجود بعض التباينات الكيفية (النوعية)، بين الانسان وكافة الكائنات الحية في المملكة الحيوانية ويمكن تلخيص هذه التباينات في ثلاثة أطر :-

١- الانسان هو الكائن الوحيد في المملكة الحيوانية الذي يتعامل بالرمز «اللغة» المكتوبة او المرسومة او المنقوشة او المسموعة، بينما تعجز جميع الكائنات الحية الأخرى عن هذا التواصل. وعليه فقد أصبح للانسان تراث ثقافي ينقل عبر الأجيال ولا يوجد هذا التراث في اي من الكائنات الحية الأخرى.

٢- الانسان هو الكائن الوحيد في المملكة الحيوانية الذي يستطيع ان يتعامل مع المحسوس او العياني concrete وكذلك يتعامل مع المجرد abstract في حين جميع الكائنات الحية الأخرى لا تتعامل الا مع المحسوس «العياني فقط». وهذا الخلاف الكيفي ادى بالانسان الى ان يتصور المستقبل ويفهم المجرد والمعنوي فكلمة فضيلة مثلاً أو شجاعة او صدق يفهمها الانسان بينما تعجز كافة الحيوانات في المملكة الحيوانية عن تصور هذه المفاهيم، وتعيش فقط في محاولة اعادة التوازن الفسيولوجي لها بالأشباع الحشوية (طعام - ماء - جنس... الخ) اي ان المحدد الأساس للحيوان - بغض النظر عن درجته في سلم التطور - هو اعادة الهوميوستاز (س) الساكن static homeostasis الى حالة التوازن equilibrium بينما وفي حالة الإنسان فضلاً عن

اعادة حالة التوازن الفسيولوجي ، هناك محاولة دائمة لتحقيق حالة التوازن النفسي الدينامي اي اعادة الهوميوستازس الدينامي Dynamic homestasis الى حالة التوازن (تحقيق الأمن) المحبة الانجاز، الحرية ، الضبط الخ .

وعلى سبيل المثال اذا لم تشبع الحاجات الفسيولوجية كالماء (في حالة الصيام في شهر رمضان) يقل معدل وجود الماء في الجسم ويؤدي هذا إلى عدم التوازن disequilibrium في الهوميوستازس المساكن ، ويعود الهوميوستازس إلى حالة التوازن equilibrium عند شرب الماء اي ان عدم التوازن الفسيولوجي يحدث نتيجة لعدم اشباع الحاجات الفسيولوجية ، كالجوع والعطش والجنس ... الخ .

ويحدث حالة من عدم الاتزان في الهوميوستازس الدينامي (النفسي) اذا لم تشبع حاجات الانسان النفسية او الاجتماعية . فعدم اشباع الحاجة للأمن Need for security على سبيل المثال يؤدي بالفرد الى حالة من عدم التوازن النفسي ، وكذا الحال بالنسبة لحاجات نفسية مثل : -

need for affection	الحاجة للتواد
need for recognition	والحاجة للتقدير
need for achievement	والحاجة للانجاز
need for belongingness	والحاجة للانتماء
need for freedom	والحاجة للحرية
need for control	والحاجة للضبط

٣- الانسان هو الكائن الوحيد في المملكة الحيوانية ، الذي يستطيع ان يسطر ويتحكم في بيئته او يغيرها لصالحه عن طريق العمل الانساني .
بينما تعجز كل الكائنات الحية الاخرى عن احداث مثل هذا التغيير وعليها ان تتكيف مع البيئة . فاذا حدث حريق في غابة على سبيل المثال او سقوط شديد للامطار فإن جميع الكائنات الحية في الغابة تسارع بالفرار او الاختفاء ، اما الانسان فيستطيع بالعمل الانساني ان يتحكم في هذه البيئة ، فيطفيئ النار اذا اراد لانه يستطيع اكتشاف القانون الذي يحكم الظواهر المختلفة سواء أكانت ظواهر طبيعية ام كانت اقتصادية ام اجتماعية ام انسانية ... الخ واكتشاف القانون يتيح الفرصة للفهم والتنبؤ والضبط .

وهي الخصائص الثلاث التي تعبر عن اتباع المنهج العلمي . والانسان باتباعه لهذا المنهج في تناول الظواهر والقضايا المختلفة ، يتمكن من فهم هذه الظواهر كما يتمكن من التنبؤ بها قبل حدوثها وكذلك يتمكن من ضبطها او التحكم فيها ، لأنه اكتشف القانون او القوانين التي تفسر هذه الظواهر . وعليه فإنه من الخطأ تعميم ما يحدث في الحيوانات على الانسان لاختلاف البناء البيولوجي ومن ثم لاختلاف الوظائف والانشطة .

هذا بالإضافة الى وجود علاقة بين البناء والوظيفة فتركيب المخ مثلاً في الانسان يمكنه من اداء مجموعة من الوظائف او الانشطة مثل التعلم ، التفكير ، التذكر ، الادراك ... الخ وهذه العمليات المعرفية او هذه الوظائف حين تمارس وتندرب تعدل من بناء المخ . ومن ثم يستطيع المخ ان يؤدي وظائف جديدة وهكذا ويتطور الانسان ويبدع في الوقت الذي لا يوجد مثل هذا التطور الخلاق في الحيوانات الاذنى من الانسان .

وحيث اننا نستدل على الشخصية من مجموعات الاساليب السلوكية الناجمة عنها ، سواء بطريقة مباشرة قابلة للملاحظة والقياس كما في الاداءات الناجمة عن الفرد (overt behaviour) أم عن طريق الاساليب السلوكية المضمرة التي يمكن ايضاً ملاحظتها وقياسها بطرق غير مباشرة التي تسمى (covert behaviour) كما في التفكير مثلاً او احلام اليقظة . فيكون من الطبيعي ان نجد تبايناً واضحاً بين شخصية واخرى صحيح ان الاساس البنائي واحد (من حيث نوع الخلايا وعدد الكروموزومات بها) ، ونوع الانسجة والعضلات والعظام وكذلك الاجهزة المختلفة . الا ان الوظائف او الانشطة قد تختلف وقد يزداد التباين في ضوء الممارسة او التدريب او تشييط او خمول البيئة الاجتماعية والثقافية — كما سنعرض في السطور الآتية — فتتعدد الشخصيات ويزداد التباين بينها . وينبغي ملاحظة اننا نتكلم عن الفرد الذي يولد سليماً من الناحيتين البيولوجية والفسولوجية .

ثانياً : المنظومة الاجتماعية Social system

تعد هذه المنظومة المحدد الاخر من محددات الشخصية والمقصود بهذه المنظومة الثقافة التي يعيشها الفرد او ينخرط فيها ، وكذلك التراث التاريخي والحضاري له . ويشكل هذا التراث التاريخي الحضاري والثقافة المعاصرة للفرد ، نوع الشخصية التي تراها متباينة من مجتمع لآخر ومن ثقافة لآخرى ومن التاريخ الحضاري لشخص عن آخر . وعليه لا يمكن دراسة الشخصية بطريقة مجردة في المجتمعات المختلفة ، لانها بالضرورة تعكس هذا التراث الحضاري . وهذه الثقافة المعاصرة . وتعكس الظروف البيئية والاجتماعية التي تحيط بالفرد . فلا يمكن مثلاً توحد شخصية الامريكي وشخصية الهندوكي ، او توحد شخصية رجل العصر الحجري بشخصية

موسيقى ايطالي معاصر . اذ إن البعد الثقافي التاريخي مختلف في كل حالة مما يطبع الشخصية في كل حالة بطابع خاص مميز .

ويمكن ان نضيف لهذا البعد نوع التنشئة الاجتماعية ((التطبيع الاجتماعي) Socialization التي تنخرط فيها الشخصية . وهناك مجموعة من وكالات التطبيع الاجتماعي تبدأ بالاسرة وتنتهي بالمؤسسة القانونية والدينية في الدولة ، مروراً بالمدرسة كمؤسسة اجتماعية ، وما يصاحبها من جماعات الرفاق ((الاقربان)) وكذلك مؤسسة الاعلام والمؤسسات الحزبية والترفيهية الخ اذ تطبع كل هذه الوكالات ((الشخصية)) بطابع خاص ومميز ، يختلف من مجتمع لآخر ومن بيئة لاخرى . ولا يعني هذا ان ابناء المجتمع الواحد تكون شخصياتهم صوراً كربونية ، وذلك للتباين الواضح في الثقافات الفرعية Sub-cultures . فالمعروف ان اية ثقافة Culture تتحدد بمستويات ثلاث : العموميات Univxersalities والمقصود بهذا المحدد ماهو شائع في ثقافة ما بحيث يتمثلها كل افراد المجتمع .

ولعل من اهم العموميات في اية ثقافة ((اللغة)) التي تعد بمثابة الوعاء الثقافي العام ، حيث يشترك كل افراد المجتمع في هذه اللغة ، ويدخل ضمن عموميات الثقافة كل ماهو شائع بين افراد هذه الثقافة كنوع الملابس المميزة ، وطراز المباني ، وانواع الاطعمة الشائعة ، التي يتناولها الجميع . والخصوصيات Specialities . تعد بمثابة ثقافة فرعية ، لا يتمثلها كل افراد المجتمع فهناك ثقافات فرعية مختلفة في داخل الثقافة العامة ، تحدد الطبقات الاجتماعية ان وجدت ، كما يحددها الوضع الاقتصادي وتبايناته ، كذلك تحدد مستويات التعليم ونوعية المهن ، وكذلك الريف ، والحضر ... الخ من المحددات .

ونلاحظ في داخل هذه الثقافات الفرعية تباينات واضحة في داخل المجتمع الواحد. فالأطباء على سبيل المثال - لهم ثقافة فرعية تتمثل في مجموعة العادات والممارسات والمفاهيم والأفكار الخاصة بهم ، التي تختلف عن الثقافة الفرعية لسائقي التاكسي أو لعمال البناء . كذلك هناك ثقافة فرعية خاصة بربات البيوت غير المتعلمات وغير العاملات ، تختلف عن الثقافة الفرعية للمتعلّقات والعاملات من حيث نوع المفاهيم السائدة والعادات والممارسات المختلفة . كذلك نلاحظ تبايناً واضحاً في العادات والممارسات والمفاهيم والأفكار بين الفلاح والفني أو العامل الماهر في مصنع يدار بالتسيير الذاتي (الاتومشين) . وثالث هذه المحددات التفرد الثقافي - Uniqueness والمقصود بهذا المحدد ان في داخل الثقافات الفرعية يوجد تفرد بين افراد هذه الثقافات الفرعية ، في ضوء الخبرات الخاصة ، والمعاناة والمطامح الفردية ، التي تقتصر على فرد معين وتباين بالضرورة من فرد لآخر في داخل الثقافة نفسها . ولذلك نجد في اي مجتمع وداخل اي ثقافة ، شخصيات متباينة تشترك في مواصفات عامة وتختلف او تتباين وفق نوعية الثقافة الفرعية التي ينخرط فيها الفرد ، وكذلك وفق الخبرات الخاصة التي ينفرد بها عن غيره من الافراد .

وحصيلة هذا كله وجود شخصيات بعدد الافراد ، اي ان لكل فرد ((شخصيته)) الخاصة به ، والتي تتضح من خلال اداءاته وممارساته عن طريق ملاحظته ، كما يمكن ايضاً قياس هذه الاداءات او السلوك من خلال مجموعة مقاييس للشخصية بعضها تسمى بمقاييس الورقة والقلم ، وبعضها مقاييس الاداء ، ومجموعة ثالثة تسمى بالمقاييس الاسقاطية ، وكل مقياس مبني على اطار نظري خاص به ، وسوف نعرضه حين نتكلم عن

نظريات الشخصية وطرق قياسها في الفصل الثالث والرابع والخامس من الكتاب .

ولا بد من الإشارة الى ان المنظومتين البنائية والاجتماعية متفاعلتان بالضرورة وتختلف الرؤى في وزن كل منهما وفق الاطار النظري الذي يختلف فيه المنظرون عند طرحهم لنظرياتهم في الشخصية . بيد انه يمكن توزيع معظم نظريات الشخصية وفق اتجاهات ثلاثة :

الاتجاه الاول : يضم هذا الاتجاه مجموعة من النظريات التي تصف الشخصية في ضوء المؤثرات البيئية والاجتماعية مثل النظريات السلوكية (مثير-استجابة) وبتزعم هذه النظريات واطسون ، ميللر ودولارد سكينر.... وكلها تركز الحتمية البيئية الميكانيكية .

الاتجاه الثاني : ويضم مجموعة النظريات التي تصف الشخصية في ضوء محددات بيولوجية خاصة (بنائية) كالنظرية البيولوجية (جولد شتاين) ، ونظريات الطرز (الانماط) هيوفراط ، شلدون ، كرتشمير ، والنظرية النفسية الجنسية (فرويد) ، والنظريات الخاصة بالسمات (اولبورت) والعوامل (كانتل) وكلها تركز على الحتمية البيولوجية البنائية .

والاتجاه الثالث : ويضم مجموعة من النظريات تجمع ما بين الاتجاهين السابقين فتصف التفاعل بين المحددات البيولوجية والمحددات البيئية والاجتماعية والثقافية ، وتضم نظرية المجال (ليفين) ، نظرية الحاجات (موراى)

حذما

والفرويدية الجديد ، دالر ، كارين هورني ، أرك فروم
سوليفان) . كذلك نظرية الدور الاجتماعي (سارلين)
وكلها تركز على التفاعل الدينامي بين كل من المحددات
البيولوجية البنائية والمحددات البيئية والاجتماعية
والثقافية .

وسوف نعرض في الفصل الثاني من الكتاب ((ابعاد بناء الشخصية))
لتفاصيل بناء الشخصية ونموها في ضوء الابعاد الثلاثة : البعد التكويني
البعد الثقافي ، والبعد الاجتماعي .

ديناميات الشخصية

برز مفهوم الدينامية نقيضاً لمفهوم الاستاتيكية وقد تسيطر هذا المفهوم
الاخير على فكر الكثير من علماء النفس وكذا علماء الفيزياء في ضوء النظرية
الميكانيكية «لنيوتن» التي اثرت في الفكر الانساني عامة زهاء ثلاثة قرون (القرن
١٧ ، ١٨ ، ١٩) وبرز مفهوم الدينامية رفضاً لفكرة الثبات وسعياً وراء
التغير والصيرورة في عالم تسيره (اللاثوابت) .

وبالنسبة لمجال علم النفس كان فرويد من اوائل من قدم تفسيراً للنفس
البشرية مستخدماً هذا المصطلح .

والدينامية تعني ببساطة تفاعل شبكة من المتغيرات سواء أكانت هذه
المتغيرات في النفس البشرية ، أم كانت في الظواهر الطبيعية : ام البايولوجية
اذ كان التفسير لأية ظاهرة انسانية او اجتماعية او فيزيقية لايتأتى الا
بالمفهوم الدينامي وهو مفهوم شبكي يتجاوز المفهوم الخطي (سبب ونتيجة)
الذي كان يميز الفهم الاستاتيكي للظواهر والاحداث .

وتشترك الكثير من نظريات الشخصية في توظيف مفهوم الدينامية حتى يتمكن المنظّر من تفسير السلوك (انظر الفصلين الثالث والرابع من هذا الكتاب).

ويتزعم توظيف هذا المفهوم «فرويد» بعده ، احد رواد التيار التكويني ألبايولوجي ، ويشترك ايضاً في توظيف المفهوم «دولارد وميلر» بعدهما من اهم رواد التيار السلوكي (الحتمية البيئية) كذلك نجد أن مفهوم الدينامية يشيع بين رواد علم النفس الانساني فنجد ، لدى الفرويديين الجدد ولدى «كارل روجرز» و «ماسلو» وغيرهما .

والدينامية ينظر اليها من خلال ثلاثة مبادئ او قوانين تساعد في تفسير السلوك الانساني ومن ثم فهم الشخصية هي :-

- خفض (اختزال) التوتر وإعادة الاتزان :

Tension reduction & re-equilibrium

يشير «فرويد» Freud في ضوء تصوره عن الجهاز النفسي (الهو ، الانا ، الانا العليا) الى ظاهرتي الاشباع - الاحباط - التي يعاني منها الطفل في باكورة حياته وفقاً لمبدأي اللذة والواقع . وحين يتم الاشباع يختزل التوتر وتعاد حالة الاتزان الفسيولوجي للكائن . وقد اشار الى هذا المفهوم الخاص بالاتزان عالم الفسيولوجيا المشهور «كلود برنارد» Claude Bernard . (انظر كتاب الطب التجريبي) الذي اطلق مصطلح «الهوميوستازس» Homeostasis والمصطلح المطروح يوظف فسيولوجياً وسيكولوجياً . ففي الحالة الاولى يحدث توازن حيوي فسيولوجي نتيجة لخفض التوتر الناتج عن اشباع الدوافع الفسيولوجية (مثل الجوع ، العطش ، الجنس الخ) وتسمى حالة التوازن باتزان الهوميوستازس الفسيولوجي ، وينسحب

نفس الكلام في حالة التوازن السيكولوجي اذا ماتم اشباع الدوافع
الثانوية المكتسبة (مثل الامن ، المحبة ، الانجاز ، الانتماء.. الخ) وتسمى
حالة التوازن هذه باتزان الهوميوستازس الدينامي او النفسي .

وينظر «دولارد وميللر» الى هذا المبدأ نفسه من وجهة نظر اخرى ، اذ
يعد خفض التوتر او اختزاله محكوماً بالارتباط ، اي يتم تدعيم الاستجابة
التي تنجح في اشباع الدوافع ومن ثم تؤدي الى خفض التوتر . وقد اشار
هذان العالمان الى مفهوم التعلم بالترابط 1950 Learning by
association وطرحا بضعة مفاهيم في نظريتهما عن الشخصية (الحافز ،
الاستجابة ، الدليل ، التدعيم) . واثارا ايضاً الى دينامية العلاقة بين الدوافع
الفيسيولوجية والدوافع السيكولوجية : ويستدل على ذلك بالارتباط «المصاحب
Concomitant بين اشباع الدوافع الفطرية الاولى ، واشباع الدوافع
المكتسبة الثانوية فالطفل حين تحاول امه ان تخفض توتره الناجم عن عدم
اشباع دوافع الجوع ، تحتضنه (تدغدغه) وتقبله وتكسبه الكثير من الحنان
بحيث تصبح هذه العمليات والاجراءات المصاحبة لعملية الرضاعة ، تصبح
مطلباً مكتسباً ومن ثم دافعاً او (حاجة) تتطلب الاشباع .

٢ - الفعالية (التأثير) في البيئة : The effect on the environment

يعد هذا المبدأ من المبادئ المهمة التي تعكس بوضوح ايجابية الطفل اثناء
نموه . اذ لا يقتصر الامر على مجرد اشباع حاجاته الفسيولوجية والنفسية
فحسب ، بل يتعدى هذا الى تحقيق الدوافع نحو التأثير الفاعل في بيئته .
ويعد اللعب واحدى الادوات التي تكشف عن مدى الحاجة لهذا التأثير من
جانب الطفل .

واذا ملاحظنا طفلاً يبدأ في تعلم استخدام الملعقة مثلاً ، وجدنا بكل
وضوح محاولات استكشاف واستطلاع من جانب الامل لهذه الاداة

وللاصوات التي تخرجها اثناء وجودها في الطبق او في الفنجان... اي ان الامر لا يقتصر على الاشباع الفسيولوجي في اثناء التغذية بل يصاحب ذلك ايضاً نمو مقدرة الطفل وتأثيره في البيئة من حوله . وقد اشار الى ذلك «روبرت هويت» ١٩٦٠ Robert White ويختلف «هويت» عن «فرويد» في ابرازه لهذا الدافع الذي عن طريقه ، يلعب الطفل دوراً في معالجة الاشياء باستخدام يديه مما يساعده في السيطرة على بيئته ، ويعد هذا الدافع فطرياً من وجهة نظره .

ويساير هذا الطرح من جانب «هويت» آراء الكثير من علماء النفس الذين انشقوا عن الفرويدية الكلاسيكية كما يتضح ذلك من فصول الكتاب الآتية:

٣ - النمو بالفعل والنمو بالقوة :

Growth by action & growth by force

ينمو الرضيع بالتغذية وبالرعاية الصحية فيزداد وزناً وحجماً مع الايام ويعد هذا النمو نمواً بالفعل اذ ان الزيادة في عدد الخلايا ومن ثم الانسجة تكبر الاعضاء وزناً وحجماً وكل ذلك يدخل في باب مصطلح "growth" ويصاحب هذا النمو تعقد فسي الوظائف functions بمعنى انه يمكن لعضو في الجسم أن يؤدي وظيفة محددة في سن معين ، ويؤدي وظيفة أخرى مضافة في سن تال . فمعدة الرضيع مثلاً تستطيع هضم لبن الام ولا يمكنها هضم قطعة من اللحم ، ولكن بعد سن معين تستطيع المعدة نفسها ان تهضم اللحم والبقول ، اذ تعددت وظائفها ويسمى هذا النوع من النمو بالنمو الكيفي « development ويعد النوع الاول من النمو « بالنمو الكمي growth .

يضاف الى هذين النوعين من النمو بالفعل نمو آخر يسمى «النمو بالقوة» والمقصود بهذا المصطلح ان ثمة حافزاً أو (دافعاً) في داخل الانسان يحاول

ان يجعل الشخص مستقلاً ، ويدفع به الى درجات أعلى من النمو . وبمعنى آخر أن هناك امكانية داخلية للفرد اذا ما تاحت لها الفرصة ووجدت ظروفًا مناسبة من التوافق ، وهذا يؤدي الى ما يسميه «ماسلو» Maslow بتحقيق الذات Self actualization ويسمى هذه الامكانية «ادلر» Adler بدافع الكفاح من اجل التفوق ، كذلك يشير الى هذه الامكانية «كارل روجرز» Car I Rogers ويعتمد عليها في علاجه للشخصية كما سيتضح ذلك في فصل علاج الشخصية (الفصل الثامن) .

ويسير على النهج نفسه «الفرويديون الجدد» وعلى الاخص «ارك فروم» Erec Fromm . و «كارين هورني» Kareen Horney .

وهذا المبدأ يميز الانسان عن كافة افراد المملكة الحيوانية ، لانه ينقله من التعامل مع المحسوس الى التعامل مع المجرد . والتعامل مع المجرد والمعنوي يتطلب نمواً بالقوة . وبمعنى آخر امكانية اضافة وظائف جديدة للجهازين العصبي المركزي (المخ اساساً) ويتمثل في التعطش نحو المعرفة والتذوق الجمالي والفلسف ، وكلها وظائف تعبر عن امكانية لانهاية لمخ الانسان ، وتتجاوز حدود ماهو معروف آنياً عن الامكانيات الفعلية للانسان المعاصر .

الفصل الثاني

أبعاد بناء ونمو الشخصية

أبعاد بناء الشخصية

مقدمة

البعد التكويني

البعد الثقافي

البعد الاجتماعي

أبعاد نمو الشخصية

مقدمة

النمو المعرفي (بياجية)

النمو النفسي (فرويد)

النمو الاجتماعي (باندورا)

الفصل الثاني

ابعاد بناء الشخصية

مقدمة : يولد الانسان وحدة بيولوجية تتفاعل مع وحدة أكبر هي وحدة البيئة والاجتماعية . يظل هذا التفاعل في اثناء رحلة الحياة وفي كل لحظة يمكن وصف هذا الانسان بكثير من الاوصاف ، فهذا طفل عدواني ، وذاك طفل منطوي ، هذا الشاب منفتح الذهن ، وذاك منغلق . هذا الرجل يمكن الاعتماد عليه ، وذاك لايمكن الوثوق به ... هذه الفتاة جادة وتلك عابثة ، وهذه المرأة مملوءة بالحنان ، وتلك عنيفة قاسية .. الخ . من اين اتت هذه «الصفات» او هذه اللافئات التي نخلعها على السلوك؟ ليس من شك في ان الانسان لا يولد وبه مثل تلك الخصائص او الصفات ولكن عبر رحلة الحياة تتشكل الشخصية وتنمو وتتحدد معالمها وبصماتها . ولنبدأ رحلة هذا البناء النفسي الضخم ((الشخصية)) لنرى كيف تتكون او بمعنى آخر كيف تبني ؟

نلاحظ ان هناك ثلاثة ابعاد تبني بهم الشخصية وتنمو من خلالها :
البعد الاول هو البعد التكويني الذي يتمثل في بناء الكيان العضوي للفرد كما يتمثل في اجهزته وانسجته وخلاياه وغدده وافرازات كل ذلك اي وظائف كل تلك المكونات .

والبعد الثاني هو البعد الثقافي الذي يحدد نمط الثقافة السائدة وتاريخها وانتقالها عبر الاجيال وما تطبعه على الفرد في اثناء نموه .
والبعد الثالث هو البعد الاجتماعي الذي يحدد بالدقة التفاعلات بين الاشخاص وعمليات التطبيع الاجتماعي التي يتعرض لها الفرد في داخل ثقافته وبكوينه المحدد بيولوجياً والى المزيد من شرح وتحليل لهذه الابعاد الثلاثة :

اولا : المنظومة البيولوجية السلوكية Behavioural-biological system

يتكون الانسان باندماج حيوان منوي ببويضة فيتكون مايسمى بالزايكوت Zygote ينمو الزايكوت بالانقسام المتضاعف بمعنى ان هذه الخلية المخصبة تنقسم الى خليتين ، وتنقسم الخليتان الى اربعة ثم الى (٨) ، (١٦) (٣٢) (٦٤) وهكذا تتكون ملايين الخلايا . وتصطف هذه الخلايا في ثلاث طبقات Layers . الطبقة الخارجية تسمى بالاكودرم ectoderm ومنها يتكون الشعر والجلد ، والجهاز العصبي والميزودرم mesoderm وتتكون منها معظم الاجهزة كالجهاز الدوري والتنفسي والبولي والعضلات والعظام ... الخ ، والانودرم endoderm وهو الطبقة الداخلية وتتكون منها بعض الغدد الداخلية والجهاز الهضمي يبقى الجنين في رحم الام حوالي (٢٨٠) يوماً ويتحدد جنس الجنين بمجرد اندماج الحيوان المنوي بالبويضة اذ ان ٥٠٪ من الحيوانات المنوية sperms تحتوي كروموزوم Y ، و ٥٠٪ الاخرى تحتوي كروموزوم X . بينما تحتوي البويضة بصفة مستمرة على كروموزوم X .. فاذا اندمج حيوان منوي في داخله كروموزوم X بالبويضة فان الوليد يكون انثى (XX) ، واذا اندمج حيوان منوي بداخله كروموزوم X بالبويضة فان الوليد يكون ذكراً (XY) . اي ان المسؤول عن تحديد جنس الجنين هو الحيوان المنوي وليس البويضة . بجانب هذا الزوج من الكروموزومات (XY) و (XX) يوجد (٢٢) زوجاً آخر من الكروموزومات خاصة بجميع خصائص الجنس البشري . ولذلك تكون خلية الانسان محتوية على (٢٣) زوجاً من الكروموزومات واحد منها فقط خاص بالجنس ، والباقي خاص لخصائص الانسان .

اي كائن حي آخر تحتوي خلاياه على نفس العدد من الكروموزومات ،
اذ لكل كائن حي عدد خاص من الكروموزومات فالبعوضة على سبيل
المثال تحتوي خلاياها على ٦ كروموزومات .

تحمل الكروموزومات ما يسمى بالجينات Genes وهي التي تنقل
الخصائص الوراثية عبر الاجيال . وهذه الجينات تنقل خصائص مادية
مثل لون الجلد ، لون العين ، شكل الانف ، الطول او القصر وكذا الاستعداد
لبعض الامراض

وتكون بعض هذه الجينات مسيطرة وبعضها الآخر متنحية ، وقد تحدث
طفرة في هذه الجينات فتنتقل خصائص لا توجد من اجيال سابقة كما قد ينقل
الفرد خصائص كانت موجودة في الاجداد وغير موجودة في الابوين ، وقد
قام مندل Mendel عام ١٨٦٥ بوضع قوانين للانتقال الوراثي عن طريق
(الجينات) ، الا ان العصر الحالي قد تجاوزها . واصبح الآن من الممكن خلق
خصائص جديدة عن طريق علم حديث معاصر يسمى بالهندسة الوراثية . وقد
كانت اجاث مندل على نبات البازلاء وعلى حشرة الدروسوفلا (ذبابة)
الفاكهة .

وقد شاع لدى بعض علماء النفس التقليديين وخصوصاً في علم النفس
بيورجوازي تجاهاً يركز على امكانية نقل مفاهيم كالذكاء
والقدرات والاستعدادات عن طريق الوراثة . اي عن طريق مجموعة من
الجينات وقد استندوا في هذا على بعض الدراسات التي يمكن تصنيفها الى
اتجاهين احدهما دراسات عن السلالات او ما يسمى احياناً (بشجرة العائلة)
كدراسة عائلة كاليكاك المشهورة The Kallikak family التي قام
بها جودارد Goddard عام ١٩١٢ والتي اثبتت ان الاجرام والتخلف

كامل ، علم النفس الفسيولوجي (١٩٨٢) ومعنى هذا انه لا يزال للانسان رصيد ضخم في صورة مشروع للعمل والتعلم والتفكير والابداع ، ولا يتأتى هذا الا ببرمجة مخ الانسان وتصبح الانشطة التعليمية والممارسات ونوعها وكما المحدد الاساس لتوظيف وبرمجة المخ . والمعروف مثلا ان النصف الكروي الايسر يمكن اذا ما برمج من اداء وتعلم المهارات اللفظية وعمليات التجريد والتصورات الرمزية الخ بينما يختص النصف الايمن من النصفين الكرويين بالانشطة والممارسات العملية والفنية وتكون هذه الانشطة - اذا ما اتاحت الفرصة للفرد ممارستها في قمة توظيفها ثم ادائها ما يتمثل في السلوك . وعليه فان السلوك الناجم عن الشخصية محكوما بالضرورة بفرص هذه الشخصية في اكتساب وبرمجة الجهاز العصبي المركزي لها C.N.S. وخصوصاً النصفين الكرويين

واثبتت دراسات كثيرة ان نسبة الذكاء في تغير مستمر بالنسبة لنفس الفرد على مر الاعوام وقد تمت دراسة في جامعة ايوا Iowa نشرت نتائجها عام ١٩٤٩ تحت عنوان «دراسة تتبعية لـ ١٠٠ طفل متنب» قام بها كل من سكودال وسكيل Skodal Skeels وفيها تمت متابعة ، ١٠٠ طفل ينتمون في الاصل لفئات اجتماعية متواضعة ، وقد تم تبنيهم بوساطة فئات اجتماعية متوسطة وعالية امتدت الدراسة لمدة ١٥ عاماً (١٩٣٤-١٩٤٩) خضع الاطفال خلال المدة لتطبيق اختبار ستانفور بينيه عام ١٩١٢ Stanford-Binet خمس مرات وفيما يأتي نتائج تطبيق هذه الاختبارات (خمس مرات) خلال ١٥ عاماً .

- ١ - ٧٨ طفلاً من العينة حصلوا على درجات مختلفة في الاختبارات الخمسة.
- ٢ - ولا احد من افراد العينة حصل على الدرجة نفسها في الاختبارات الخمسة .

٣ - ولا احد من افراد العينة حصل على الدرجة نفسها في اربعة اختبارات .

٤ - طفل واحد حصل على الدرجة نفسها في ثلاث اختبارات .

٥ - ٢٢ طفلاً حصلوا على الدرجة نفسها في اختبارين .

يقول ميشيل تورت Michel Tort (١٩٧٤) ان هذه الدراسة أثبتت عدم مشروعية التنبؤ بما سيكون عليه ذكاء الطفل في المستقبل وهو اخطر حق تدعيه لنفسها اختبارات القياس العقلي .

ثانياً : منظومة الغدد الصماء Endocrine glands system

يحتوي جسم الانسان على نوعين من الغدد المجموعة الاولى من الغدد تسمى غدد قنوية Duct glands كالغدد اللعابية مثلاً ، والكبد ، والصفراء ، وهي الغدد التي تفرز انزيماتاً في قنوات تساعد في عمليات هضم الغذاء وتمثيله وهناك منظومة اخرى من الغدد تسمى بالغدد الصماء Endocrine glands أو الغدد عديمة القنوات Ductless glands وهذه المنظومة من الغدد تفرز مجموعة من الهرمونات hormones في الدم مباشرة عن طريق الضغط الاسموزي ، اذ ينتقل الهرمون في داخل الغدة إلى الدم عن طريق جدار الغدة لان تركيز الهرمون في داخل الغدة اقل من تركيز الدم ، اذ ان مفهوم الضغط الاسموزي يمثل في انتقال السوائل الاقل تركيزاً إلى السوائل الاكثر تركيزاً من خلال جدران الخلايا .

والهرمونات المفرزة هي مواد بايوكيميائية Biochemical ذات فعالية كبيرة في فسيولوجيا جسم الانسان . وهذه المنظومة من الغدد تعمل بعلاقات التأثير والتأثر اي انها لا تعمل منفردة وتخضع لنظام التغذية المرتدة feed-back واهم غدة في هذه المنظومة هي الغدة النخامية Pituitary التي تعمل كالمايسترو بالنسبة لباقي الغدد . وتفرز الغدة النخامية مجموعة متنوعة

من الهرمونات تنظم عمل الغدد الأخرى ، وتوجد في قاع المخ ، وتوجد
الغدة الدرقية Thyroid ومن حولها أربع غدد صغيرة تسمى جارات
الدرقية para-Thyroid . كذلك توجد جزر لانجرهانز langerhans
islands التي توجد في داخل البنكرياس وهي المسؤولة عن
إفراز الأنسولين الذي ينظم السكر في الدم يخزن الفائض
منه على صورة جليكوجين Glycogen في الكبد كذلك توجد الغدد التناسلية
فوق الكلية (الكظرية) Adrenals وكذلك الغدد Gonads
حيث توجدان في الخصيتين في (الذكر) وفي المبيضين في (الأنثى) .

وزيادة أو نقص إفراز هورمون ما من غده ما ، يكون له تأثير حاسم في
أعراض مرضية واضطرابات واضحة في السلوك . فزيادة إفراز الغدة الدرقية
مثلا عن المعدل المطلوب يصاحبه سرعة الاستثارة والارق ، وقلة إفراز الغدة
الدرقية عن معدلها يصاحبه الارهاق والكسل والرغبة في النوم .

وزيادة إفراز الأنسولين في الدم عن المعدل المطلوب يقلل من نسبة السكر
في الدم ، وهذا يؤدي إلى ضعف عام في الجسم ، وفي العضلات خاصة
وكذلك يؤدي إلى إخفاق في عمل المخ وفي أداء الفرد بصفة عامة ، ويؤدي
إلى اضطراب في الرؤية وبعض التشنجات وقد يصاب الإنسان بهذيانا
العظيمة والاضطهاد (حالات بسيطة من البارنويا) وقلة إفراز الأنسولين تؤدي
إلى زيادة نسبة السكر في الدم وعدم قدرة الكبد على الاحتفاظ به ويؤثر ذلك
في سلوك الفرد فتزداد شدة انفعالاته كما يحدث اضطراب في التفكير وخط
في الصور التذكرية .

وبالنسبة للغدتين الكظريتين هناك مجموعة من الهرمونات التي تفرزها
الطبقة الخارجية من الغدتين المعروفة باسم القشرة cortex وهذه المجموعة

من الهرمونات تنظم أنشطة الأيض metabolism (عمليات الهدم والبناء) أذ تقوم هذه المجموعة بتحليل وامتصاص المواد البروتينية والدهنية والكربوهيدراتية . والجزء الداخلي من الغدتين الكظريتين يسمى بالنخاع Medula . ويفرز النخاع هورمونين الأول هو الأدرنالين Adrenaline الذي يلعب دوراً في استجابة الخوف fear عند رؤية شيء مفرع أو عند مواجهة عدوان . كما يفرز النخاع أيضاً هورمون النورادرنالين Nor-Adrenaline الذي يؤدي إلى استجابة الغضب حين يستثار الفرد .

والغدد الجنسية تفرز أساساً هورمونين أحدهما التستسترون Testosterone وهو موجود بكم أكبر في الذكور وبكم أقل في الإناث . وهورمون الأندروجين Androgene ويوجد بكمية أكبر في الإناث وبكمية أقل في الذكور . والخلل في إفرازها سواء بالزيادة أو النقصان ، يؤدي إلى تغيرات في الجسم وفي السلوك . فزيادة التستسترون في الأنثى مثلاً يؤدي إلى نمو الشعر في الوجه ، وإلى غلظ الصوت وضمور المبيضين (المرأة المسترجلة) بينما تؤدي زيادة الأندروجين في الذكر ، إلى سقوط الشعر من الجسم وبخاصة الوجه ويؤدي إلى نعومة الجلد ورقة الصوت وبروز الثديين . وتعمل هذه المنظومة في ضوء مفهوم التغذية المرتدة حيث يتكامل عملها معاً وهناك علم خاص لدراسة الغدد الصماء Endocrinology . ويعد البعد التكويني بمثابة الدعامة الأولى في بناء الشخصية ، أو هو المادة الخام لبناء الشخصية ، وبالقدر الذي تكون فيه هذه المادة الخام نقية وسليمه يكون استعدادها للانسجام والتكامل مع البعدين الثقافي والاجتماعي . ويتلخص نقاء وسلامة المادة الخام (البعد التكويني) في سلامة التركيب العضوي للفرد بأجهزته وأنسجته وخلاياه وفي سلامة الوظائف الفسيولوجية لهذا التركيب العضوي .

يمارسون الخصومة متفاخرون ، كافراد يتسمون بالفردية الزائدة وبالانانية وكثيراً ما يخرجون عن القانون في دوافعهم واهدافهم . كما ان تصرفاتهم لا تتسم بالثبات وتوصف حضارتهم بالثنائية والتناقض من الوجهة الأخلاقية وفي النظرة الكلية للوجود وفي اقتصاديات الحياة وعند المستوطنين الدوبو The natives of Dubo نجد ان السمات الغالبة هي الحرص والتشكك والشجار على أتفه الاشياء والقضايا . وتقول بندكت في وصفها لهذه الشخصيات المتباينة ان الفرد هو الذي يخلق ثقافته ومن ثم يكون مسؤولاً عن الممارسات المتناقضة التي تعد بمثابة دستور اجتماعي لهم . كما اكدت بندكت على ضرورة فهم «الفرد» ككائن يعيش في ثقافته « وفهم الثقافة» كما «يعيشها الافراد» وتاريخ حياة الفرد هي اولا وقبل كل شيء نوع من الموائمة Accomodation للنماذج والمعايير والواصفات الراسخة في ثقافته . ومنذ لحظة ميلاده يطبع بالعادات الموجودة في محيطه اذ تشكل خبراته وسلوكه وتطبع شخصيته (بندكت انماط من الثقافة) .

ونخلص من ذلك إلى ان المسلمة الاساسية للانثروبولوجين ومن بعدهم علماء علم الاجتماع هي :

ان شخصيتنا تتشكل في الاساس بالثقافة التي نولد فيها . والبناء البيولوجي للفرد يحدد إلى حد صغير التباينات الممكنة للثقافات . وهناك مسلمة ثانية تستخرج ايضاً من كتابات بندكت مؤداها ان لا توجد مفردة واحدة في التنظيم القبلي الاجتماعي للرجل (لغته ، ديانتته المحلية ، عاداته ...) نقلت اليه من خلال المورثات (الجينات genes) في العائلة . وتؤكد بندكت ان كل شيء - بعيداً عن الملامح البيولوجية العامة - ينقل من جيل لآخر من خلال عملية التطبيع الاجتماعي (التنشئة الاجتماعية) ، اذ ان الجزء

البعاد الثقافي Cultural Dimension

ربما كانت دراسات الانثروبولوجيا الاجتماعية Social Anthropology هي المعبر الحقيقي لفهم مفهوم الثقافة في المجتمع - اي المجتمع - اذ ان ثقافة المجتمع تطبع شخصيات هذا المجتمع بمجموعة خصائص وعادات ومفاهيم وافكار وانماط من السلوك تغاير تماماً خصائص وعادات ومفاهيم وافكار وانماط من السلوك لشخصيات تكونت في ثقافة اخرى. وربما تكون كتابات ودراسات روث بندكت Ruth Benedict ١٩٣٤ ، ومارجريت ميد Margaret Mead ١٩٣٥ ، ومالينوسكي Malinowski ١٩٤٤ قد انازت الطريق امام العلماء والباحثين لفهم الاسس المعقدة للبناء الاجتماعي ، ولتكوين وبناء شخصيات هذه المجتمعات ، قامت بندكت بدراسة العادات القبلية في كتابها انماط من الثقافة Patterns of Culture اذ قامت بتحليل ثقافي رائع لثلاث مجتمعات بدائية تتباين وتتضاد في كل الخصائص التي تميز شخصياتها وهذه القبائل هي : قبيلة الزونو في مكسيكو الجديدة Zuni Indians of new Mexic والمستوطنين الدوبو في مالانزيا The natives of Dubo in Malanesia والكواكيوتل في جزيرة فانكوفر Kwakiutl of Vancouver Island حاولت بندكت ان تظهر كيف يمكن للعادات والتقاليد ان تؤثر بفعالية في شخصيات الافراد الذين ينخرطون فيها ومن ثم تنعكس في سلوكهم . فالهنود الزونو Zuni Indians يعتبرون بالاعتدال والبعد عن التطرف ، ويمارسون طقوساً مقدسة رسمية ويتحمل الفرد في هذا المجتمع المسؤولية ويضحى من اجل صالح المجتمع ويتبعد عن الانانية ويتسامح في الوقت الذي يكون فيه الهنود الكواكيوتل Kwakiutl Indians

يمارسون الخصومة متفاخرون ، كافراد يتسمون بالفردية الزائدة وبالانانية وكثيراً ما يخرجون عن القانون في دوافعهم واهدافهم . كما ان تصرفاتهم لا تتسم بالثبات وتوصف حضارتهم بالثنائية والتناقض من الوجهة الأخلاقية وفي النظرة الكلية للوجود وفي اقتصاديات الحياة وعند المستوطنين الدوبو The natives of Dubo نجد ان السمات الغالبة هي الحرص والتشكك والشجار على أنفه الاشياء والقضايا . وتقول بندكت في وصفها لهذه الشخصيات المتباينة ان الفرد هو الذي يخلق ثقافته ومن ثم يكون مسؤولاً عن الممارسات المتناقضة التي تعد بمثابة دستور اجتماعي لهم . كما اكدت بندكت على ضرورة فهم «الفرد» ككائن يعيش في ثقافته « وفهم الثقافة» كما «يعيشها الافراد» وتاريخ حياة الفرد هي اولا وقبل كل شيء نوع من الموائمة Accomodation للنماذج والمعايير والواصفات الراسخة في ثقافته . ومنذ لحظة ميلاده يطبع بالعادة الموجودة في محيطه اذ تشكل خبراته وسلوكه وتطبع شخصيته (بندكت انماط من الثقافة) .

ونخلص من ذلك إلى ان المسلمة الاساسية للانثروبولوجين ومن بعدهم علماء علم الاجتماع هي :

ان شخصيتنا تتشكل في الاساس بالثقافة التي نولد فيها . والبناء البيولوجي للفرد يحدد إلى حد صغير التباينات الممكنة للثقافات . وهناك مسلمة ثانية تستخرج ايضاً من كتابات بندكت مؤداها ان لا توجد مفردة واحدة في التنظيم القبلي الاجتماعي للرجل (لغته ، ديانتة المحلية ، عاداته ...) نقلت اليه من خلال المورثات (الجينات genes) في العائلة . وتؤكد بندكت ان كل شيء - بعيداً عن الملامح البيولوجية العامة - ينقل من جيل لآخر من خلال عملية التطبيع الاجتماعي (التنشئة الاجتماعية) ، اذ ان الجز

من افراد الثقافة يأخذ الشكل (الصيغة) المقدمة له ، ويكون الامر هكذا بسبب عدم وجود تناقض اساسي بين دور المجتمع ودور الافراد . وهناك دوماً اخذ وعطاء give and take وتدعيم متبادل بين الثقافة والفرد . وتعرض مارجريت ميد في كتابها المعروف الجنس والزواج في ثلاث مجتمعات بدائية Sex and Temperament in three primitive societies هي قبيلة الارابش Arapesh ، وقبيلة موندجومر Mundugumor وقبيلة تشامبولي في غينيا الجديدة Tchambuli in New Guinea في هذا الكتاب عرضت مارجريت ميد ومعها فورتشن Fortune في العامين ١٩٣١ ، ١٩٣٢ للخصائص المميزة للثقافة في كل من القبائل الثلاث :

فبالنسبة لمجتمع الارابش يتسم هذا المجتمع بالجانب الامومي في مظهره الابوي والجانب الانثوي في مظهره الجنسي . فالرجال متعاونون غير عدوانيين . ويتربى الطفل ليصبح متساهلاً غير عدواني ، غير منافس ، غير مبادىء ، بل يتسم بكونه مستقبلاً دافئاً ، وديعاً ، عطوفاً ، يوثق به ، والواقع انه في اي مجتمع متجانس يلحظ المراقب عادة ان الاطفال يكتسبون الصفات التي يرونها عادة في الاءاء ، ولكن الامر هنا ليس بهذه البساطة ، اذ يوجد خط دقيق ومحدد بين الطريقة التي يطعم بها الطفل او ينظم او ينضبط ويدلل او يعاقب او يشجع اذ ان طريقة تناول هذه الاجراءات اي طريقة تعويد الطفل هي بمثابة المكون الاساس لبناء شخصيته حين يكبر . فالامومة والرعاية والحنان في كل من الرجال والنساء على السواء تغدق على الطفل (الولد والبنت) ، احساساً عميقاً بالدفء والرعاية الفائقة اذ لا يغيب الطفل نظر الام لحظة واحدة ، والملاحظ ان طفل الارابش لا يمض ابهامه او

اصبغه بسبب الاشباع المستمر بالرضاعة الطبيعية. كلما بكى الطفل . ويتعود الطفل ان يرى حوله الحيوانات وهي تلقي الرعاية الفائقة (الكلاب والخنازير) ويهدف الكبار من هذا ، تنمية روح التعاطف والحنان من جانب الاطفال ازاء الحيوانات . وينمو طفل الارابش ايضاً وهو محاط بالرعاية من كل الاقارب والمعارف ، فكل الرجال بالنسبة له اباء وكل النساء بالنسبة له امهات وعليه تنمو الثقة فيه وفي الآخرين ويحب الطفل كل من حوله ويثق بهم ويعتمد على كل شخص من الكبار المحيطين به . ولا توجد حدود او تقاليد خاصة بالخشجل في الملابس او النوم والطفل يظل عارياً حوالي سن الخامسة وقد تعلم ان يتقبل التباينات البايولوجية دون اي قلق او خجل ثم ان عملية الاخراج لا تتطلب الخصوصية . كل ذلك يؤدي لنمو الاحساس بالامن العاطفي emotional security ودائماً ما يجد الارابش اليد المساعدة العظوفة والصوت المملوء بالحنان من حوله .

وطرح ميد الخصائص المضادة لهذا النسق في القبيلة الاخرى قبيلة الماندوجومر حيث تتكون مجموعة مغايرة تماماً من العادات والقيم وانماط السلوك التي تصيغ الشخصية في هذه القبيلة بطابع خاص . فالسمات المميزة لشخصيته الرجل والمرأة في قبيلة الماندوجومر هي العنف والشراسة فالمجتمع يتسم بالعدائية ، ويولد الطفل وينمو في مجتمع سيكون فيه كل افراد جنسه اعداء له . ويعد محك النجاح في مستقبله هو القدرة على المزيد من العنف والعدوان ويضع دائماً رأسه على كفه .

وحين تحمل الزوجة فان هذا يضايق الزوج ولا ترغب المرأة كثيراً في الانجاب ، اذ ان مجيء الطفل يعد بمثابة حدث غير مرغوب فيه وقد يشك الزوج في ان الطفل قادم من صلبه ، اذ ان رغبة الرجل هنا تتحور فقط حول

القوة والمركز ، كما تتمثل في عدد النساء اللواتي يعملن له حيث تقوم المرأة بالعمل بجانب الرجل وتساعدته في شراء ادوات القوة . ويفضل الرجل البنت اذا جاءت إلى الحياة على عكس الام التي تفضل الولد - مع افتراض انه لا مفر من الانجاب غير المرغوب فيه اصلاً -

والرضاعة في هذه القبيلة ليست ممتعة بالنسبة للام او للطفل اذ لا يوجد الحنان او المداعبة اثناء عملية الرضاعة اذ يلقي بالطفل عقب الرضاعة مباشرة في سلة نومه كما ينمو الطفل من قبيلة الماندوجومر وهو تحت سياط الممنوعات ولا ينبغي ان يتحرك بعيداً عن الانظار خوفاً من الاخطار المحدقة به ، لا ينبغي له ان يدخل بيت زوجة ابيه لطلب الطعام ولا ينبغي له ان يلجأ إلى امه طلباً للود او نتيجة للخوف ولا ينبغي عليه ان يصرخ (بيكي) الا اذا كان على وشك ان يقتل .

والاطفال الذكور حتى سن الخامسة يتلقون تعليمهم من الامهات ، بينما تتلقى البنات في السن نفسه تعليمهن من الاءاء وتعد هذه النقطة مهمة لانها تفصل الاب عن الابن وتفصل البنت عن الام وكذلك الاخ عن الاخت - ويكون الشخص في هذه القبيلة في حالة دفاع وتأهب للمقاومة والعدوان . ومن المعتاد ان يسب (يشتم) الأزواج زوجاتهم كذلك تسب الزوجات (تشتن) ازواجهن . ومنذ الصغر يتدرب الاولاد والبنات على القتال سعيًا وراء العنف وبدا تتسم شخصية كل من النساء والرجال في هذه القبيلة بالسلمات الموجودة في الرجال القساة الشرسين في مجتمع غير منضبط فالمرأة عدوانية شرسة وكذلك الرجل عدواني شرس .

وفي القبيلة الثالثة التثامبولي وجدت ميد مجتمعاً غريباً اذ وجدت كل الرجال في القبيلة يقومون بالعمل الفني (الرقص ، والغناء ، والحفر ، والرسم ، وعمل

الافئعةالخ) وتكثر حلقات الاحتفالات للممارسة الفنية ويكاد يقتصر عمل الرجل على هذه الاداءات بينما تقوم المرأة باعمال الصيد والقنص خصوصاً صيد الاسماك ولها السلطة المطلقة وتمثل القوة في هذا المجتمع ولهذا يختلف الدور تماماً لدى كل من الأرايش والماندجومر . الا ان الملاحظ ان العمل الفني في هذه القبيلة اهم من الفنان نفسه ، وبمعنى اخر فالرقص كعمل اهم من الراقص والغناء اهم من المطرب ، وحين تعمل المرأة في هذه القبيلة فان الهدف ليس اسعاد الزوج او الابناء ، ولكن يتمثل الهدف في اثراء الحفلات الفنية فالمرأة تدفع اجراً لحضور هذه الحفلات اذ أن المال نتيجة العمل يجعل الهدف وهو الرقص والحفل ممكن الحدوث . وفي هذا المجتمع نجد ان الرجل لا يتحمل اقل مسؤولية عن تربية الابناء بل يعد معتمداً على عمل المرأة وينمو الأطفال بدون توجيه لا مجرد التقليد لما هو سائد كأدوار يمارسها الكبار .

ويقدم مالينوسكي وهو بولندي الاصل نظرية تسمى النظرية الوظيفية للثقافة Functional theory of Culture ودرس مالينوسكي بعض القبائل في الشمال الغربي لميلانيزيا خصوصاً في جزر تروبرياند Trobriand Islands مع بعض القبائل الاسترالية The Hopi of Arizona, The Zapotes of Mexico وBemba and Chagga في شمال افريقيا وكذلك واستخلص من دراساته مجموعة من التصورات تشكل نظريته الوظيفية : يعد مالينوسكي الثقافة جهازاً وسيلياً Instrumental apparatus عن طريقه يوضع الفرد في مركز ، وهذا المركز يتيح له مواجهة المشكلات والقضايا التي تزخر بها بيئته هادفاً الى اشباع حاجاته .

كما تعد الثقافة (منظومة) System من الموضوعات ، الانشطة، الاتجاهات العادات الخ حيث يوجد كل جزء من عناصر هذه المنظومة باعتباره

وسيلة تهدف الى تحقيق غاية ، وهناك تكامل بين هذه المكونات او اجزاء الثقافة . وتتبادل فيهما بينهما (الاعتمادية) اي يعتمد كل جزء او كل مكون على الجزء الآخر حيث تعد العلاقات بين هذه الاجزاء او المكونات علاقات تبادلية (تأثير وتأثر) وكل هذه المكونات او الاجزاء لهذه الثقافة تكون منظمة حول مجموعة من المهام tasks هذه المهام تكون حيوية ومهمة داخل كل المؤسسات الاجتماعية التي تنخرط داخل هذه الثقافة فالاسرة، وجماعة الرفاق ، والقبيلة والمؤسسات الاقتصادية والسياسية والقانونية والتربوية تعمل جميعها وفق هذا الكل المتكامل من مكونات الثقافة وعليه يرى مالفينوسكي من وجهة نظر دينامية ان الثقافة يمكن ان تحلل الى عدة مظاهر مثل التربية ، والضبط الاجتماعي ، والاقتصاد ، والمعتقدات والاخلاق ، وكذلك التعبير من خلال الابداع الفني . وتعد العملية الثقافية وفي ضوء مايتضح منها من مظاهر الاطار الشامل الذي يحتوي على اناس يشغلون مواقع ولهم ارتباطات محددة ولهم علاقات فيما بينهم ويتضمن تنظيم هؤلاء الافراد عملية اساسية هي التواصل عن طريق اللغة او عن طريق او مزية أخرى كالفنون المختلفة من رسم ونحت ونقوش وصور... الخ وفي هذا البعد تتحدد الملامح العامة للشخصية وتبرز بعض التباينات بين الشخصيات في ضوء البعد الاجتماعي .

البعد الاجتماعي Social Dimension

اذا كان البعد الثقافي متضمناً ماهو عام وشائع في الثقافة الذي يطلق عليه احياناً لفظ عموميات الثقافة Universalities ويتضمن ماهو شائع وخاص بمستويات ونوعيات وشرائح هذه الثقافة الذي يطلق عليه لفظ الثقافات الفرعية Sub-Cultures وما تطرحه هذه الثقافات الفرعية

من خصوصيات Specialities وفق الطبقات الاجتماعية ففي بعض المجتمعات ، ووفق الشرائح المتباينة في مجتمعات اخرى ، مثل مستوى التعليم ومستوى ونوعية المهن ، والريف والحضر والبدو ، ووفق الوضع الاقتصادي لكل شريحة ، واذا كان كل ذلك يصنع الثقافة ويصنع افرادها بالمجموعة المتكاملة من المظاهر السابقة الذكر فأن البعد الاجتماعي يركز مايمكن تسميته بالتفرد الثقافي Uniqueness . وهو احد ابعاد الثقافة الذي يعتمد اساساً على التنشئة الاجتماعية في داخل الاسرة وعلى الخبرات الفردية الخاصة التي يمر بها الفرد والتي تكمل صياغة شخصيته . ويؤدي هذا التفرد الثقافي بالفرد الى نمو شخصية مخالفة لكل الشخصيات في داخل الثقافة نفسها والثقافة الفرعية . فالشخصيات من نفس الثقافة ليست بنسخ كربونية . ويكمن السبب الرئيسي في ذلك الى مبدأ الايجابية في الطفل ومنذ مولده .. صحيح انه يستجيب ويتعلم ابتداءً من سلوك الرضاعة مروراً بسلوك المشي والكلام وصولاً الى تمام النضج . ولكنه في كل الاحوال ليس سلبياً تماماً او مستقبلاً تماماً (عزيز حنا ، علم النفس والنمو ١٩٧٢) . وانما تراه منذ المهد وهو يرفض ، قد يرفض الثدي ، وقد يرفض اللعبة ، ويعاند وتكثر النواهي ويكثر التدعيم الموجب (الاثابة) والتدعيم والسالب (العقاب) وهكذا يستمر التناقض: الاذعان والتمرد ، الموافقة والرفض ، والمسيرة والمغايرة ، والمحصلة النهائية في أية مرحلة من مراحل العمر هي نتاج هذا الديالوج بين الشخص والآخرين طوال رحلة الحياة . وقد حاول علماء الاجتماع وكذلك علماء النفس الاجتماعي ابراز هذا البعد (البعد الاجتماعي) بأعبارة مكملات للمظاهر الثقافية المذكورة سابقاً . وسوف نعرض لنظريتين تلقين الضوء وتؤكدان اهمية العامل الاجتماعي في تشكيل وصياغة الشخصية .

(الصدق)

الصدق
البراءة

بقيمة (الصدق) كقيمة مرغوب فيها فإن افراد الجماعة تنظر الى (الكذاب)
نظرة ازدراء وتبتعد عنه ونظرة الجماعة المتدينة والتي تحافظ على الطقوس
الدينية الى «الملحد» نظرة ازدراء وتشكك مما تجعله خارج الجماعة . وفي
عصاة السوط المسلح يعد العدوان والاقدام سمة مرغوبة لافرادها ، فاذا
انخرط في هذه الجماعة شخص ويح. هيب ، لفظته وجعلته خارجها .
ونخلص من هذا الى ان الفرد يميل لان يكون داخل الجماعة المنخرط فيها
حتى يحس بالاطمئنان ، والحماية ، والامن ، والتقبل الاجتماعي ، وقد
اثبتت دراسات كثيرة في علم النفس الاجتماعي هذه الحقيقة ككتابات
مظفر شريف ، وكانتريل Sherif & Cantril ١٩٤٧ وكذلك دراسات
تش Asch ١٩٥٢ .

نمو الشخصية

مقدمة :

تختلف الرؤى بين علماء النفس ازاء الظواهر النمائية المختلفة التي تواكب نمو الفرد منذ الميلاد وحتى الشيخوخة مروراً بمراحل نموه المختلفة في الطفولة المبكرة والطفولة المتأخرة ، والمراهقة ، تمام النضج ، والشباب ، والرجولة ، والشيخوخة . ويتركز اهتمام عالم النفس - وفق نسق فكره النظري - على جوانب معينة في النمو يشكل من خلالها تصوره او اطاره النظري وسوف نعرض لثلاث تصورات مهمة ومتباينة . اولها اعطى اهتماماً بالغاً بالجانب المعرفي (العقلي) في نمو الشخصية وهو العالم السويسري المعروف جان بياجيه Jean Piaget ١٩٥٢ . وثانيهما عالم النفس المشهور سيجموند فرويد Sigmund Freud مؤسس مدرسة التحليل النفسي Psycho-analysis الذي اعطى اهتماماً بالغاً للجانب النفسي الجنسي في نمو الشخصية وثالثهما عالم النفس المعاصر الكندي ألبرت باندورا Albert Bandura (١٩٧٧) الذي ابرز الدور الاجتماعي في التعلم واهميته البالغة في نمو الشخصية . والواقع ان نمو الشخصية يتم في صورة متكاملة وفق ابعاد بنائها كما سبق أن ذكرنا في الجزء الاول من هذا الفصل ، ولكننا سنحاول في هذا الجزء تناول نمو الشخصية وفق كل جانب من الجوانب الثلاث لها : الجانب المعرفي ، والجانب النفسي الجنسي ، والجانب الاجتماعي . ولا ينبغي ان يغيب عنا ولو للحظة واحدة ، ان الجوانب الثلاثة متكاملة ومتفاعلة ، ولكننا نحلل ونقسم لغرض التبسيط ، وقد وقع اختيارنا على ثلاثة علماء لهم باع عميق في تصور الشخصية رغم أن تركيز كل منهم على جانب بعينه فقط في هذا العرض .

النمو المعرفي عند بياجيه :

المقصود بالنمو المعرفي عند بياجيه ، العمليات العقلية المميزة لمراحل النمو المختلفة من الطفولة حتى تمام النضج . وقد اتبع بياجيه في ذلك منهجاً عملياً اذ قدم للاطفال في مراحل عمرية مختلفة بعض المشكلات كي يقوموا على حلها وتابع بدقة الطرائق المختلفة التي اتبعوها في مواجهة (و حل) تلك المشكلات . كان من بين الاطفال اطفاله .

عند بياجيه سلوك الطفل حين يؤدي المهمة المطلوبة منه (حار المشكلة) انه سلوكاً للتكيف بين الطفل وبيئته حتى يتم الاتزان equilibrium او الملائمة adaptation . وتنمو المعرفة (اي ينمو العقل) من خلال عملية التكيف بين الفرد والبيئة التي يعيش فيها ، اذ ان الفرد والبيئة يكونان كلا متوافقاً .

يقسم بياجيه مراحل النمو المعرفي لدى الفرد على مرحلتين اساسيتين وتنقسم كل مرحلة بدورها الى عدة مراحل اصغر منها :

المرحلة الاساسية الاولى يسميها المرحلة الحسية- الحركية The sensori-motor phase وتنقسم هذه المرحلة على ست مراحل اصغر منها والمرحلة الاساسية الثانية ويسميها المرحلة التصورية The coceptual phase وتنقسم بدورها على اربع مراحل اصغر منها (مراحل فرعية) .
المرحلة الاولى الاساسية تمتد منذ الولادة حتى نهاية العام الثاني . والمرحلة الثانية الاساسية تمتد من بداية السنة الثالثة وتستمر حتى المراهقة .

المرحلة الاولى الاساسية :

(المرحلة الحسية - الحركية) منذ الولادة وحتى السنة الثانية مدة المرحلة (٢٤) شهراً وتنقسم على النحو الآتي : -

١ - الشهر الاول يؤدي الطفل افعالاً منعكسة مثل المص والبكاء
٢ - من بداية الشهر الثاني وحتى الشهر الرابع يكرر الطفل افعالاً ليست
بقصد معين او لتحقيق غرض خاص مثل حركة اليد ، وتحريك
الاصابع ، وتحريك الساقين ، وكذلك النظر الى الاشياء وارهاف السمع
وتسمى هذه الحركات (بالاستجابات الدائرية الاولى) .

٣ - من بداية الشهر الخامس وحتى نهاية الشهر السادس ، يكرر الطفل
افعالاً ذات أثر في البيئة من القاء اشياء ، تحريك (خرخاشة) ويستمتع
بذلك ، وهنا تعدّ التكرارات قصدية وتسمى هذه الحركات (الاستجابات
الدائرية الثانوية) .

٤ - من بداية الشهر السابع وحتى نهاية الشهر العاشر ، وتبدأ عمليات التآزر
في السلوك وتتضح للملاحظ ، اي تكرار استجابات الطفل وهو مسيطر
على هذه الحركات وتعد بمثابة تكرارات للمرحلة الثالثة ، ولكن مع
السيطرة والتحكم .

٥ - من بداية الشهر الحادي عشر وحتى نهاية الثامن عشر ، ويتضح في سلوك
الطفل ادراكه ان الاشياء الموجودة في محيطه منفصلة عنه ، وانه
يستطيع التأثير فيها وتحريكها ، وكثيراً ما يستخدم الطفل اداءات
مختلفة للوصول الى ما يريد . وتعد بمثابة مرحلة اكتشاف ، درجة
اشياء ، رمي الكرة ، تقليد ما يوجد امامه من مكعبات الخ وتسمى
هذه الحركات (الاستجابات الدائرية الثالثة)

٦ - من بداية الشهر التاسع عشر وحتى الشهر الرابع والعشرين ، يتضح للملاحظ
ان في سلوك الطفل قدر من الخبرة المختزنة من استخدام بعض الكلمات

من ضوء المخزون العقلي المكتسب (التجمعات العقلية) ويبدو على الطفل
امكان استبصاره لأثاره في البيئة .

المرحلة الثانية الأساسية :

(المرحلة التصورية) بداية العام الثالث حتى المراهقة وتنقسم هذه المرحلة
على النحو الآتي :

١ - مرحلة ما قبل التفكير التصوري (ما قبل تكوين المفاهيم) .

The preconceptual phase ، وتمتد من بداية العام الثالث
وحتى نهاية العام الرابع . وفي هذه المرحلة تأخذ المعطيات في البيئة
معنى رمزياً بالنسبة للطفل ، فيتعامل هو واللعب وكأنها كائنات حية،
ويبدأ الطفل في تصنيف الأشياء وادخالها في كومات (أو فئات)
ويستغرق اللعب الرمزي معظم وقت الطفل ويتكلم الطفل معها ويثيبها
او يؤذيها وغالباً ما يعكس في ذلك سلوك الكبار نحوه .

٢ - مرحلة التفكير الحدسي The phase of Intuitive Thought

وتبدأ من بداية سن الخامسة وتنتهي بنهاية سن السابعة يبدأ الطفل في
هذه المرحلة في محاكاة الواقع وتنمو لديه عملية الإدراك السابقة
على الفعل . أي يستطيع ان يتصور الفعل او يتمثله ذهنياً / ويمكن ان
يتصور انه سيعاقب اذا فعل شيئاً مما اعتاد والديه ان ينهياه عنه
ويزداد تحكم الطفل في اللغة التي تساعد على تفاعله الاجتماعي هو
والآخرون. وبحكم ادراك الطفل الخبرة الحسية ، قد يدرك اناء مرتفعاً
رقيقاً مملوءاً بالماء ، على ان كم الماء به اكثر من اناء آخر اوسع منه
واقصر حيث يبدو فيه الماء اقل . كذلك لا يستطيع ان يدرك ان بالونة

كبيرة من المطاط تساوي في الوزن كرة صغيرة من الحديد اي ان الحجم هنا يرتبط بالوزن والارتفاع يرتبط بالكم (*) .

٣- مرحلة العمليات المحسوسة (الاجراءآت الحسية) او العيانية

The Phase of concrete operations

وتبدأ من بداية سن الثامنة وحتى نهاية سن الحادية عشر .

تنمو في هذه المرحلة قدرة الطفل على ادراك العلاقات بين الاشياء ، فينمو لديه مفاهيم الحجم ، الوزن ، الطول ، القصر ، والعدد . هنا يستطيع الطفل ان يدرك ان كرة صغيره من الحديد اثقل من بالونة كبيرة مملوءة بغاز الهيدروجين او الهليوم رغمًا عن اختلاف الحجم .

٤- مرحلة العمليات الصورية : (الاجراءآت الشكلية)

The phase of formal operations

وتبدأ من بداية العام الثاني عشر وتستمر حتى المراهقة (مشارف المراهقة) أي من نهاية مرحلة الطفولة المتأخرة (نهاية التعليم الابتدائي) وحتى مشارف المراهقة اي نهاية المرحلة المتوسطة وبداية المرحلة الاعدادية .
(بالنسبة للعراق) .

تنمو هنا لدى الطفل (تجاوزاً) القدرة على التصور العقلي اي القدرة على التجريد Abstraction اذ يمكن للطفل والمراهق ان يتصور الاحداث والمواقف ويتبعد عن المعالجة العينية الحسية ، ويبدأ في تفهم معنى الرمز واستخدامه ، اي انه يمكن في هذه المرحلة ادراك الشيء دون ان يراه او

(١) ينبغي ان نلاحظ ان هناك فروقاً فردية بين الأطفال وحين نتكلم عن بداية عام ليس بالضرورة ان يكون من الشهر الأول منه اذ قد يحدث بداية من الشهر الثاني او من الشهر الأخير في العام السابق . فالمرحلة متداخلة كالليل والنهار وكفصول العام اذ لا يمكن تحديد ساعة محددة ينتهي بها النهار ويبدأ الليل او يوم محدد ينهي فصل ليبدأ فصل جديد .

يلمسه او يحسه ، وتستمر هذه الظاهرة بعد ذلك بصفة دائمة اذ يكون التعامل مع الفكرة عن الشيء ، او مع مايرمز اليه دون الادراك العياني concrete ولذا لا ينبغي تدريس الرياضيات المجردة كالجبر مثلاً قبل هذه المرحلة ، كذلك الكثير من المفاهيم مثل الفضيلة ، والموت ، والحرب ، ويستطيع الفرد في هذه المرحلة ان يتصورها بكل ماتعنيه من ممارسات .

النمو النفسي عند فرويد

يتمحور مفهوم النمو النفسي عند فرويد في وجود مناطق شبقية في جسم الفرد ، وعند تنبيه او استشارة هذه المناطق ينتج عن ذلك اشباعات لبيدية . وقد قدم فرويد هذا المفهوم (الليبدو Libido) بأعتباره طاقة نفسية جنسية ، وهذه الطاقة تتركز في اماكن معينة في اثناء نمو الفرد . وفي الحالات السوية من النمو تنتقل وفق معيار زمني محدد ، وتثبت رغباً عن مرور السن المناسب في حالات اللاسوية وفق درجة التثبيت .

وقد قسم فرويد هذه المراحل على اربعة اقسام هي :

المرحلة الاولى : المرحلة الفمية Oral Phase

وتنقسم هذه المرحلة الى مرحلتين :

1- المرحلة الفمية الاستقبالية .

2- المرحلة الفمية السادية .

في المرحلة الفمية الاستقبالية يتركز الليبدو فيها في الفم وتقوم هذه المرحلة على المص (الرضاعة) وتشغل بالتقريب السبعة اشهر الاولى من حياة الطفل ، حيث يتعامل هو والبيئة عن طريق الفم . ويتحقق الاشباع اللبيدي عن هذا

الطريق . وحين يعاني الطفل من احباط (كقلة وجود اللبن في ثدي الام) او عدم اشباعه في فترات الجوع يلجأ الى مص اصبعه كبديل او مص (الملهية) وتحتل المرحلة الفمية السادية باقى العام الاول - والمعروف ان ظهور القاطعين الامامين في فم الطفل يكون من سن السبعة شهور عادة - وهنا يتم عض الثدي - احياناً - كي يحافظ الطفل على موضوع اشباعه وهي الام عادة او من يقوم مقامها . والسادية هنا تعني ضبط الطفل بوجود الاسنان ، وبالايجابيات المتلاحقة نتيجة لعملية الفطام Weaning وتنسم هذه المرحلة (بالتناقض العاطفي Emotional ambivalence ، كما تنسم بالسادية والمازوشية (العدوان والاذعان))

المرحلة الثانية : المرحلة الشرجية Anal Phase

وتشغل في النمر السوي عادة العامين الثاني والثالث ويتركز الليدوفي هذه المرحلة في الأست . (فتحة الشرج) وفي هذه المرحلة يتدرب الطفل على التحكم في عملية الاخراج ، واثناء هذه العملية يتحقق الاشباع الليدي باستشارة الاغشية المخاطية المبطنة للأست . وكثيراً ما يستقي الطفل المادة البرازية (امساك) ، بهدف المزيد من الاستشارة الليدية وكذلك بهدف العناد لمعارضة الكبار اثناء محاولتهم تدريبه على ضبط عملية الاخراج

المرحلة الثالثة : المرحلة الذكورية (الاوديبية) Phallic Phase

تمثل هذه المرحلة عادة العامين الرابع والخامس ، ويتركز الليدوفي هذه المرحلة في الاعضاء التناسلية ، ويتم الاشباع الليدي عن طريق العضو الجنسي . والموقف الاوديبى عند الطفل يتحدد حين يشبع الليدوفي المرحلتين الفمية والشرجية من جانب الام وهنا يرتبط الطفل الذكر بالام في المرحلة الاوديبية وتنشأ لدى الطفل حالة من التناقض العاطفي اذ انه يحب الاب ويكرهه

في الوقت نفسه لانه المنافس له في حب الام وتسمى هذه الحالة عقدة اوديب Oedipus complex وقد يخشى الطفل هنا التهديد بالخصاء castration من جانب الاب. والموقف الاوديبى عند الطفلة بعد اشباع اللبيدوفي المرحلتين الفمية والشرجية من جانب الام ، ينتقل اللبيدو إلى البظر ولا زالت الفتاة تتجه بحبها نحو الأم ، وتريد ان تحتفظ بها وتنافس ابائها في ذلك وتشأ ايضاً لدى الطفلة حالة من التناقض العاطفي ازاء الاب وتسمى العقدة الاوديبية هنا عقدة اوديبية زائفة . وحين تكتشف الطفلة عدم وجود عضو ذكري لها كاخيهما تتحول بحبها إلى الاب ويتحول اللبيدو إلى المهبل vagina وتسمى في هذه الحالة عقدة الكترا Electra complex .

المرحلة الرابعة : (مرحلة الكمون) latency phase

في هذه المرحلة تكبت المشاعر في كل من الولد والبنت في حوالي سن السادسة او السابعة . وهنا يمتص الطفل القيم والمفاهيم السائدة خصوصاً وقد اتسعت دائرة اتصالاته عن طريق التحاقه بالمدرسة ، ومن خلال النشاط المنظم بها (اللعب والانشيد الجماعية) اذ تسهم في امتصاص انفعالات الطفل وتوجيهها وفق المعايير المطلوبة اجتماعياً . ولقد آبان فرويد وجود ثلاث انماط من الشخصيات تتضح من خلال مراحل النمو المذكورة سابقاً حيث يحدث عادة التثبيت Fixation فالثبيت في المرحلة الاولى (الفمية) يكون شخصية تتسم بالاتجاهات السلبية والتواكلية تجاه الآخرين وتسعى دائماً للاشباع عن طريق الآخرين . وعادة ما تتسم شخصية المثبت فمياً بعدم النضج وبالثقة المطلقة بالآخرين ، خصوصاً اذا ما تم التثبيت على المرحلة الفمية الاستقبالية. ولكن اذا حدث التثبيت على المرحلة الفمية السادية ينشأ الفرد شكاً كام متشائماً، غير واثق من استمرار المدد الفمي له .

والثبيت على المرحلة الثانية (الشرجية) له نمطان أيضاً : -

النمط الاول في الشخصية يتسم بالقذارة والعدوانية، والمشاكسة، وكثيراً ما تحدث له حالات (اسهال) في الوقت الذي يتسم الثبيت في النمط الثاني بدقة الفرد، واهتمامه بالنظام، كما يتسم بالعناد، ويميل إلى الادخار، وتجميع الاشياء، والبخل، وكثيراً ما يعاني من حالات (امساك).

والثبيت على المرحلة القضيية يؤدي بالفرد إلى المزيد من القلق، والتذبذب، والتنقل من موضوع حب لموضوع آخر، كما تتسم تصرفات الفرد بأنفعالية حادة.

النمو الاجتماعي عند باندورا

إذا كان السلوك هو دالة الشخصية في تفاعلها مع البيئة، ومن ثم يعد السلوك متعلماً أو مكتسباً سواء في مظاهره السوية أو غير السوية.

وقد اهتم البرت باندورا بدراسة الانسان في تفاعله هو والآخرين واعطى اهتماماً بالغاً بالنظرة الاجتماعية، بل له نظرية باسمه تسمى نظرية التعلم الاجتماعي Social learning theory والشخصية في تصور باندورا لا تفهم الا من خلال السياق الاجتماعي والتفاعل الاجتماعي.

يؤكد على ان انواع السلوك يمكن ان يتعلمها الفرد دون وجود تعزيز مباشر او فوري كما يفعل سكنر مثلاً. فالسلوك عند باندورا يتشكل بالملاحظة Observation، اي ملاحظة سلوك الآخرين. كما يعتبر باندورا العمليات المعرفية Cognitive processes مثل الانتباه، والادراك، والتذكر والتحليل والتفكير، لها القدرة على التأثير في اكتساب السلوك، كما ان للانسان القدرة على توقع النتائج قبل حدوثها ويؤثر هذا التوقع Expectation المقصود او المتخيل، في توجيه السلوك، وهذا

خلاف كيفي بينه وبين المدرسة السلوكية التي لا تعنى بأي عملية وسيطة بين المثير والاستجابة والتعلم عنده يتم من خلال المحاكاة . Simulation مثل مشاهدة الآخرين ووجود القدوة او النموذج Model . وتسمى نظريته بالتعلم عن طريق النماذج المتاحة . والسلوك الذي يقمعه الفرد او يكفه ، سرعان ما ينطلق من عقاله تحت تأثير النموذج المناسب ، ويطلق باندورا على هذه الظاهرة (كف الكف) اي اضعاف الكف عن طريق التعرض للنموذج المناسب . ويمكن ان نقدم مثالا على ذلك وهو مخالفة المنوعات اذا ما رأى اشخاصاً اخرين يخالفونها كالضوء الاحمر من اشارة المرور . وعليه يؤثر النموذج فيما نفعله وكذلك فيما نتنبه اليه وفي طريقة ادراكنا له .

وتبدأ الشخصية في الاستجابة للنماذج المتاحة منذ الطفولة . وتكون النماذج المتاحة في بداية الطفولة هي الابوان والاخوة الكبار . والسلوك المنحرف ايضاً يتم على نموذج خاص به . ويتضح هذا في نموذج سلوك العنف الموجود في الافلام الامريكية ، وبرامج الكارتون للاطفال ، كذلك يكتسب الطفل المخاوف كالخوف من الفئران اذا ما وجد نموذجاً امامه يخاف الفئران كالأم والأب والأخ . وفضل النماذج تكون عادة من الجنس نفسه ، ويؤثر نوع السلوك الناتج عن النموذج في نوع المحاكاة التي يمارسها المتلد ، وتمر عملية النمذجة بأربع عمليات اساسية متداخلة هي الانتباه Attention والاستدعاء Retention واعادة الاداء الحركي Motor reproduction والدافعية Motivation

العملية الاولى : الانتباه

يعد الانتباه عملية معرفية مركبة (يتركز) شعور الفرد واهتمامه حول مثير معين (هو النموذج) . وتحدد عملية الانتباه السلوك الانتقائي الملاحظ مع استبعاد انواع اخرى من السلوك لا تلفت نظر الملاحظ .

وهناك عدة عوامل تشترك في تنظيم كم وانماط الخبرات المنمجة فعلى سبيل المثال : الافراد الذين تربطهم بالشخص الملاحظ علاقات متكررة تحد من انماط السلوك التي يتمثلها هذا الملاحظ (لانه محاط بمجموعة محددة مسبقاً) ، وتعد القيمة الوظيفية لأنواع السلوك الملاحظ ، والعلاقات بين الشخصية التي تجذب النموذج إلى الشخص الملاحظ بمثابة عوامل مؤثرة من جانب النموذج . كما ان البرامج المتلفة تشد انتباه الافراد من كل الاعمار دون وجود حوافز لمحاكاتها . وهناك بعض المؤثرات في عملية الانتباه يمكن اجمالها في ، النموذج كثير ، ونوع العلاقة بينه وبين المقلد او المحاكي ، والقيمة الوظيفية للسلوك الذي يلفت الانتباه ، والخصائص الشخصية للملاحظ (المقلد) وامكانات الملاحظ الحسية كمحده البصر او السمع الخ) . كذلك قدرة الملاحظ على الادراك والتأويل ، واخيراً التعزيز السابق للملاحظ .

العملية الثانية : الاستدعاء

تعد عملية الاستدعاء بدورها عملية معرفية عن طريقها تستدعي الخبرات وانماط السلوك الناتجة عن النموذج ويمكن ان تخضع هذه العملية لمنظومتين : المنظومة الاولى منظومة تخيلية Imaginal system والمنظومة الثانية منظومة لفظية verbal system ومن خلال عملية الاشتراط الحسي Sensory conditioning ينتج النموذج باعتباره مثيراً ، صوراً متعددة السلوك . فسماع اسم شخص يتردد بصفة مستمرة يؤدي إلى تكوين صورة عن هذا الشخص . والصور البصرية visual images تقوم بدور مهم في التعلم بالملاحظة في مراحل النمو الباكرة : اذ يفتقر الشخص إلى المهارات اللفظية verbal skills والتفسير اللفظي verbal coding للاحداث الملاحظة يؤدي إلى سرعة وتذكر التعلم بالملاحظة ، اذ ان الشفرات

نزية symbolic codes يمكنها نقل كم هائل من المعلومات في
رة مخزون ، بالإضافة إلى ان التشفير الرمزي يخدم الذاكرة نتيجة
كرار او الممارسة . كما ان تصوير الاداء بصرياً يزيد من كفاية عملية
ستدعاء .

لية الثالثة : اعادة الاداء الحركي

تتضمن هذه العملية تحويل ما هو معروض من رموز إلى افعال مناسبة .
يتضمن السلوك في هذه الحالة مجموعة من المهارات العملية او الحركية تتم
ارسة وبالتغذية المرتدة التي تحدث نتيجة للاداء ، وما ينجم من تعديل
ضوء استجابات الاخرين . وتتضمن هذه العملية امكانات فيزيقية
محطات ذاتية من جانب الملاحظ نفسه كذلك الدقة في عملية التغذية المرتدة.

لية الرابعة : الدافعية

لمقصود بالدافعية هنا كم التعزيز الذي يحفز الشخص لتمثيل سلوك النموذج.
تعزيز بأخذ صور ثلاث : التعزيز الخارجي External reinforcement
ثل في تقديم مكافأة او اثابة او ابعاد عقاب فالاثابة تؤدي إلى دفع الفرد
إلى السلوك المحتذى ، والعقاب يؤدي إلى انطفاء السلوك الممارس .
التعزيز البديل vicarious reinforcement يتم عادة حين يكافأ او
ب سلوك الاخرين . فاثابة سلوك الاخر تزيد من ميل الملاحظ لتمثيل
لك نفسه ، كما ان عقاب السلوك الناتج عن الاخر ينأى بالشخص عن
ة نوع السلوك نفسه .

وفي التدعيم الذاتي Self-reinforcement يرى باندورا ان النظريات
تعنى فقط بالتعزيز الخارجي (الموجب والسالب) لاتكفي لتفسير دعم
لك او انطفائه ويشير الى ان الأفراد يمتلكون تعزيزاً ذاتياً في ضوء

معايير السلوك التي يتبنوها. وبمعنى آخر ان للافراد القدرة على مكافأة او عقاب انفسهم وفق نوع السلوك الناجم عنهم .

والتعلم بالملاحظة من وجهة نظر باندورا (التعلم بالنمذجة) يمكن ان يؤدي على افضل وجه ممكن اذا ما اخبر الملاحظون مقدماً بكم ونوع الفوائد التي سيحصلون عليها اذا ما تبناوا هذا السلوك النموذجي . ويمكن ايضاً ان تتم النمذجة بطريقة مجردة. خصوصاً في النماذج الأخلاقية حيث يؤدي الأبناء والأقران والبرامج التلفزيونية والإفلام والصور ادواراً مهمة في اكتساب القيم والاتجاهات التي تمثلها هذه العناصر . وتؤثر النمذجة في خلق واستحداث انواع جديدة من السلوك تتولد وهي غير موجودة اصلاً في النموذج .

ويشارك كل من باندورا وبياجيه في تأكيدهما على ان صغار الأطفال تنمو لديهم القدرة على ترجمة (تأويل) ماسبق وادركوه ويتحول بعد تأويل المدرك الى سلسلة منظمة من الأفعال اي تحويل الفكر الى فعل ولكن يكمن الخلاف بينهما في شرح الدافعية الذاتية Self-motivation .

بالنسبة لبياجيه وفي مراحله الباكرة في النمو الحسي الحركي يرى ان التقليد (المحاكاة) قاصرة على إعادة انتاج الأنشطة التي سبق ان نمت لدى الأطفال، او التي قاموا بفعلها، وتكررت هذه الأفعال . وبمعنى آخر ان الإداء يكون امام النموذج حين يعيد السلوك ويكرره . بينما يرى باندورا ان الكثير من بحوثه اثبتت هو وكاي Kaue ١٩٧١ ان الأطفال يستطيعون التعلم عن طريق مراقبة الآخرين، وانهم قادرون على ان يكتسبوا مهارات جديدة عن طريق الملاحظة بل يمكنهم نقل هذا المهارات في مواقف جديدة .

الفصل الثالث

نظريات الشخصية

مقدمة :

اولا : نظريات تستند إلى الحتمية التكوينية :

- ١ - الفرويدية الكلاسيكية (التقليدية) فرويد
- ٢ - التكوينية (الجبالية) هيوقراط - كرتشمير - شلدون
- ٣ - العضوية جولد شتاين
- ٤ - السمات اولبورت

Handwritten text in Urdu script, likely a signature or a short note, located in the upper right quadrant of the document.

الفصل الثالث

نظريات الشخصية

مقدمة :

سوف يقدم هذا الفصل ، والفصل الرابع عدة نظريات في الشخصية . بعضها كلاسيكي والآخر حديث (معاصر) . وسوف يلحظ القارئ عامة الطالب او الباحث خاصة هذا التنوع الهائل من التصورات ، وقد يرجع هذا الثراء . في المعلومات الى اهمية موضوع الشخصية وتعقيدته ، بالاضافة الى انها موضوع قديم ومعاصر في نفس الوقت كما سبق وذكرنا في الفصل الأول فهي تعد « اي الشخصية (بمثابة البداية والنهاية في جميع فروع علم النفس ، كما ان لها العديد من الانتشارات ramifications في مجالات الحياة . وسوف نعني في عرض هذه النظريات بفكرة عن حياة صاحب النظرية وظروفه الشخصية اثناء رحلة حياته ، وسوف نعني بالظروف التاريخية والحضارية التي عاش فيها صاحب النظرية والتي تأثر بها ، كذلك روح العصر ومعانياته والفلسفات السائدة فيه كلما كان ذلك ضروريا . اذ ان لكل بصمات واضحة على فكر المنظر في اي مجال من مجالات العمل العلمي او الفني ، خصوصاً في مجال العلوم الاجتماعية (الإنسانية) لانها انتاج حتمي لحضارة وتاريخ وفلسفة العصر الذي تأثرت به هذه العلوم في ماضيها وواكبته في حاضرها وبمعنى آخر عملية التنظير (صياغة النظرية) تكون محكومة بمجموعة من المعطيات وقد يلحظ البعض في نفس العصر ، وتحت نفس المعطيات النظرية المطروحة نفسها انه يوجد كثرة من التباينات في طروح المنظرين المختلفين ، وهذا صحيح ولكنه لايلغي ماسبق ان طرحناه في

السطور السابقة ، لان لكل مفكر او منظر او باحث رؤياه الخاصة به وحده
رغما عن تأثره بما هو شائع في عصره ، وبما هو مطروح في التراث
الإنساني ، عامة والسيكولوجي خاصة ، ناهيك عن تكوين المنظر نفسه
وظروفه الشخصية والاجتماعية والثقافية وخبراته الذاتية وممارساته وتجاربه .
ومعروف نلاحظ ذلك بوضوح في كل نظريات الشخصية التي سنطرحها
في هذا الكتاب ، كما اننا سنلتزم بقدر من التوحيد في عرض كل نظرية
لتسهيل عملية المقارنة والاستنتاج لدى القاريء ، وسنركز - كلما كان ذلك
ضروريا - تصور المنظر في الشخصية وبنائها واجهزتها بما في ذلك من
مفاهيم ومصطلحات - وكذلك تصوره عن الأساليب المتبعة لمعرفة الشخصية
وفهمها وامكانية تعديلها وقياسها ، والأدوات المستخدمة في ذلك ، واخيراً
تقويم الكتاب لهذه النظرية ، من وجهة نظر علمية وسوف نعرض بنشر
نظريات بعضها يمكن تسميته بالنظريات الكلاسيكية وهي نظرية
« فرويد » والنظرية البنائية الجبلية (هيبوقراط ، كرتشمر ، شيلدون والنظرية
العضوية) (جولد شتاين) ونظرية السمات (اولبورت) في الفصل الثالث
والبعض الآخر يمكن تسميته بنظريات معاصرة في الشخصية وهي :
الفرويدية الجديدة (أدلر ، هورني ، فروم ، سوليفان) ، والنظرية السلوكية
الحديثة ونظرية المجال (ليفين) والنظرية الحيوية الاجتماعية (ميرفي) ، واخيراً
نظرية الحاجات (موراى) في الفصل الرابع .

اولاً : نظريات تستند إلى الحتمية التكوينية

١ - الفرويدية الكلاسيكية (فرويد Freud) ١٨٥٦ - ١٩٣٩
ولد في مورافيا تشيكو سلوفاكيا حالياً) من اب يعمل تاجراً للاصواف
متنقلاً ، وكان قد تزوج للمرة الثانية من زوجة تصغره بحوالي ٢٠ عاماً وهـ

حياته وظلوره

التي انجبت فرويد . وانتقلت الأسرة الى فينا (عاصمة النمسا حالياً) وكان فرويد في الرابعة من عمره، وكان والد فرويد كثير الترحال وكان يغيب عن المنزل كثيراً بحكم ان تجارته كانت تعاني من ازمات بسبب انتشار مصانع النسيج الكبرى ، اذ المعروف ان القرن التاسع عشر ازدهرت به الصناعة كما ازدهر فيه مفهوم الطاقة التي تسير تلك المصانع وفي ضوء تدهور حالة الوالد الوظيفية وفي ضوء تفرغ الأم لابنها (فرويد) كان طبيعياً ان يلقي فرويد كل الرعاية والحنان من جانب امه بعيداً في معظم الأحيان عن والده اظهر فرويد منذ الصغر نبوغاً في الدراسة حتى التحق بكلية الطب وكان من البارزين فيها ، وقد حاول بعض اساتذته ان يلحقونه بالكلية عضواً في هيئة التدريس بعد تخرجه الا ان الطلب قد رفض بسبب ديانته (اليهودية) .

في هذه المرحلة كان الفكر السائد في اوربا خاضعاً لمفهوم الفلسفة الوضعية Positivism وتعني هذه الفلسفة بالعلم وتكنيكاته ، حتى ان البعض يطلق عليها فلسفة العلم . ومن الطبيعي ان تسير هذه الفلسفة ، عصر النهضة الصناعية البارز في القرن التاسع عشر . وتعني هذه الفلسفة ايضاً بالكثير من المفاهيم العلمية ويعتبر مفهوم (الطاقة) energy من ابرز المفاهيم في هذه الفلسفة وقد تأثر فكر فرويد بهذا المفهوم بل قد وظفه في تصوره لمفهوم الشخصية . فالانسان من وجهة نظر الفلسفة الوضعية يعد بمثابة منظومة معقدة من الطاقة ، والغذاء مصدر لهذه الطاقة اذ يستفاد منه في تشغيل اجهزة الجسم تماماً كما يحدث في الآلة اذ تسيرها الطاقة الناجمة عن احتراق الفحم ، او اي نوع من الوقود وكذا الكهرباء . وحين تعمل اجهزة الجسم فينتج عنها مجموعة من الوظائف والأنشطة مثل الانتباه والأدراك ، والتذكر ، والتفكير الخ . ويطلق على الطاقة التسمية المناسبة للنشاط الذي تقوم به ، فالطاقة النفسية مثلاً هي التي تسير العمليات المعرفية

الاستحواذ كل ما يخصه الفرد من ممتلكاته
هو فرد الكبر / ٦٢٠
الاستحواذ

تعنيهم التقاليد الخاصة بالمفاهيم الاجتماعية ومنها الجنس ، ومن ثم تقل ايضاً معاناتهم الجنسية . وربما ظهرت معاناة اخرى اذ كان فرويد قد قام بعلاج بعض الحالات من الطبقتين العليا والدنيا ، التي تشكل بدورها اشكالا جديدة من العصاب Neurosis غير العصاب الناشيء عن المعاناة الجنسية الذي ظهر في مرضى فرويد .

٧ - كان لحياة فرويد الشخصية اثر بالغ في صياغته للنظرية ، فعقده اوديب مثلاً عاشها فرويد نفسه بسبب تجوال والده وغيباه كثيراً عن منزل الزوجية مما اتاح لفرويد الصغير فرص المعاشاة الحميمة لأمه وعدّ الوالد هو المنافس في هذا الحب ، ثم ان مفهوم غرائز الموت التي تحولت الي غريزة العدوان كان من الممكن عدم طرحها اذ لم يعيش فرويد المعاناة من رفضه بوصفه يهودياً ، ومن نشوب الحرب العالمية الأولى ، وكذلك من الهجوم المستمر عليه وعلى منهجه في التحليل النفسي . ويبقى فرويد شامخاً مع كل مآلقاه في ضوء كل ما قدمه من فكر وعلم وممارسة .

٢ - التكوينية (الجيلية) ابو قراط - كرتشمير - شيلدون

Hippocrates, Kretshmer, Sheldon
في القرن الخامس قبل الميلاد ، قدم ابوقراط تصوره عن وجود نمطين من الأشخاص : النمط الأول - القصير البدين - والنمط الثاني - الطويل النحيل - وربط النمطين بأمراض خاصة فالقصير البدين يكون استعداداً للاصابة بالسكتة القلبية Heart failure اكثر من الطويل النحيل . ويصاب النحيل اكثر من القصير البدين بالامراض الصدرية اذ يزداد استعداداً للاصابة بمرض السل T.B. واعطى تصوراً خاصاً بالأمزجة

Temperments فهناك الهوائي والمائي والترابي والناري ، وأشار الى ان للسوائل الموجودة في الجسم (يقصد الهرمونات) التي تفرزها الغدد الصماء تأثيراً محدداً على المزاج ، وقد قسمها الى الصفراء ، والسوداء والدم ، والبلغم ، وتتوقف الشخصية على نوع السيادة من هذه السوائل . فالشخص سريع الغضب وسريع الانفعال اطلق عليه اسم الصفراوي Choleric ، وهناك السوداوي Melancholy صاحب المزاج المتجهم والمكتئب ، وهناك البلغمي Phlegmatic وهو الشخص الكسول المتبلد قليل النشاط والفعالية ، كما ان هناك الشخص المرح النشط وهو المسمى بالدموي Sanguine

كان ابوقراط من اوائل من طرح عملية ربط المواصفات الجسمية ، ووظائف الأعضاء (الفسيولوجيا) بالمزاج ، ويتضح هذا المزاج في سلوك الفرد وادائه . ثم قدم كرتشمير في كتابه التكوين الجسمي والطبع Physique & character عام ١٩٢٥ المترجم من الألمانية الى الأنكليزية . مجموعة من الدراسات تظهر العلاقة بين الاضطرابات العقلية والتكوين الجسمي والمعروف عن كرتشمير انه طبيب متخصص في الأمراض العقلية وهو المائي الجنسية . وقد اظهرت دراساته وجود ترابط واضح بين التكوين الجسمي Physical constitution والسلوك الناتج عن الفرد . وقد ركز اهتمامه على نوعين من الأمراض العقلية (الذهان) Psychosis هما الفصام Schizophrenia وذهان الهوس ، الأكتئاب Manic-depressive psychosis . ومن أعراض الفصام العامة ، انسحاب المريض عادة من العلاقات الاجتماعية والشخصية كما انه يفتقر الى الحس الوجداني ، والفصام صور متباينة لنا بصدد ذكرها

هنا والنوع الثاني وهو ذهان « الهوس - الأكتئاب » حيث يتقلب الشخص بين الهوس Mania . ويتمثل في النشاط الزائد والاستثارة العالمية ، وقد يؤدي الآخرين وهو في هذه الحالة من الهياج . وفي حالات أخرى يكون الشخص متبلداً مكتئباً يتطلب الرعاية والأهتمام وكأنه طفل صغير عاجز . واستطاع كرتشمير ان يجد اسلوباً في التصنيف الخاص بتكوين الجسم ، ثم ربط ما بين هذه الفئات المصنفة جسمياً وبين مدى ارتباطها بهذين النوعين من الذهان ، بالاضافة الى ارتباطها بالاسوياء .

وفي ضوء دراسات كرتشمير استطاع ان يصل الى ثلاث انماط (طرز) هي :-

١ - الهزيل (النحيف) Asthenic حيث يكون التكوين الجسمي له ضعيفاً ويتسم الشخص بطول القامة ، ويكون الوزن ومحيط الصدر والجذع اقل من المتوسط العام ، كما ان الجلد يكون كالحا غير حيوي ، وتكون العضلات ضامرة والضلوع في القفص الصدري بارزة يمكن عدها .

٢ - النمط الثاني هو الرياضي Athletic ويتسم تكوين الجسم بالبناء العضلي القوي ، وتكون العظام متينة والصدر عريض والكتفين عريضتين والمعدة قوية والأرجل والأفخاذ قوية . والخصر معتدل ويكون الشخص متوسط الطول .

٣ - والنمط الثالث البدني Pyknic ويتسم التكوين الجسمي بالامتلاء في منطقة الصدر والبطن خاصة ، وتكون المعدة كبيرة وتتراكم الشحوم تحت الجلد وفي منطقة الجذع والبطن خاصة ، ويكون الطول متوسط وقد يميل الى القصر ، والرقبة قصيرة ممتلئة . وقد اضاف كرتشمير على هذه الطرز الثلاثة طرازاً ربما هو المختلط .

Dysplastic ويشمل جميع الأفراد الذين تتضح فيهم اشياء غريب خارجة عن المألوف بشكل بارز .

وفي ضوء هذا التصنيف وفق الطراز الجسمي ، درس كرتشمير حالاً مرضى الفصام ومرضى ذهان الهوس ، الأكتئاب وتوصل الى وجود علاقة واضحة بين الفصام ونمط الجسم الهزيل (النحيف) وكذلك الرياضي والمختلط بدرجة اقل . كما وجد علاقة قوية بين ذهان الهوس . الأكتئاب ، والنمط البدني .

وجاء شلدون ليكمل هذا الاتجاه من القصور بطريقة اكثر عملية وشموا وله مجموعة من الدراسات المتميزة في العديد من الكتب : —

انواع التكوين الجسمي للانسان ١٩٤٠ ، انواع المزاج ١٩٤٢ ، اطلس الرجال ١٩٤٥ ، وغيرها من الدراسات القيمة التي تسير على المنهج نفسه وبدا يعدّ شلدون الممثل الشرعي لهذا الاتجاه . فقد تفوق على كل من سبقو بهذه الاعمال والدراسات التجريبية التي قام بها . ويشير شلدون الى ان المقصود بالجبلة (التكوين الجسمي) ماهو موجود في الفرد من جوانب تكون ثابتة ولا تتغير بسهولة وبالتحديد فيما يتعلق بالشكل الظاهري (المورفولوجي Morphology ويشكل التكوين الجسمي ، التركيب الغدي ووظائف الاعضاء (فسيولوجيا الجسم) Physiology . وهناك جوانب أخرى تكون قابلة للتعديل والتغير بوساطة البيئة مثل العادات والاتجاهات . ويرى شلدون ان علم النفس الجبلي (التكويني) يعني بدراسة الجانب النفسي للسلوك في ارتباطه بشكل الجسم خارجياً ، كذلك بفسيولوجيا الجسم اي وظائف اعضائه وقد برز ذلك بوضوح في كتابة تنويعات التكوين الجسمي للانسان The varieties of human physique (١٩٤٠) .

يتلخص تصور شلدون في ان هناك تكويناً بايولوجياً معيناً يؤسس طرازاً معيناً في التكوين الجسمي الظاهر للعيان ، بالاضافة الى ان هذا التكوين البايولوجي ايضاً الفعالية في تحديد انواع السلوك الناتجة عن الفرد وفي كتابة اطلس الرجال واطلس النساء Atlas of men & Atlas of Women (١٩٥٤) قام بالتقاط العديد من الصور من الناحية الامامية والخلفية والجانبية (البروفيل) لعدد كبير من الافراد من الجنسين في وضع ثابت وموحد بالنسبة لكل فرد امام آلة التصوير . وبهذا تجمعت لديه آلاف الصور . بدأ في تصنيف هذه الصور في ضوء مشاهدته للتباينات وشاركه في ذلك بعض الحكماء ، واصبح هناك اجماع من الحكماء على وجود سمات خاصة يمكن في ضوءها تقسيم هذه الآلاف من الافراد . تجمع من هذه الدراسة ثلاثة تكوينات جسمية غير متداخلة ، هي : قسم سماه التكوين الداخلي Endomorphy ويتمثل هذا التكوين الجسمي في استدارة اعضاء الجسم ونعومة ملمس الجلد ، ويكون تكوين العظام والعضلات اقل من المعتاد ، وتكون الاحشاء الداخلية (خصوصاً المعدة والامعاء الدقيقة والغليظة) كبيرة في نموها وتكون مساحة السطح الخارجي للجسم اقل منها لدى التكوينين الآخرين وذلك بالنسبة لوزن الجسم . وينمو كل ذلك من الطبقة الداخلية للجاسترولا (*) gastrula وهي طبقة الاندودرم Endoderm .

(*) المعروف عقب تكوين البويضة المخصبة في داخل رحم الأم انها تنقسم بطريقة التضاعف الى ملايين الخلايا ، ثم تصطف الخلايا في ثلاث طبقات Layers وتعرف الطبقة الداخلية منها بالاندودرم ، والوسطى بالميزودرم ، والخارجية بالاكوتودرم ، انظر المنظومة المراجعة في الفصل الأول ، وانظر البعد التكويني في الفصل الثاني من هذا الكتاب .

واطلق شلدون على التكوين الثاني ، التكوين المتوسط Mesomorphy ويتمثل في هذا التكوين سيطرة كل من العظام والعضلات ، ويتسم التكوين الجسمي بالقوة ، ويستطيع صاحبه بذل الجهد البدني القوي ، ويشيع هذا التكوين في المغامرين والرياضيين والجنود ، واستعيرت كلمة «المتوسط» اساساً من طبقة الميزودرم Mesoderm ، وهي الطبقة المتوسطة للجاسترولا . والتكوين الخارجي يتمثل في الافراد الطويلي القامة ، النحاف الجسم الضعاف العضلات ، وتكون مساحة السطح الخارجي للجسم اكبر منها لدى التكوينين الآخرين وذلك بالنسبة لوزن الجسم . كما يتسم التكوين بكبر حجم الجمجمة بما فيها من المخ ، ويبنى هذا التكوين من الطبقة الخارجية للجاسترولا المعروفة بالاكودرم Ectoderm ، ويتسم هذا النوع بالحساسية الشديدة للمثيرات الخارجية ، ويرجع ذلك الى اتساع مساحة السطح الخارجي ويصعب على هذا النوع بذل الجهد العضلي او الجسمي .

وقام شلدون بتقسيم كل من التكوينات الثلاثة على سبع فئات يمثل ، الرقم (١) الحد الادنى من المكون (اندرومورفي-ميزومورفي-اكتومورفي) وتزداد الارقام حتى تصل الى الرقم (٧) وهو الحد الاعلى في التكوين . وبهذا يوضع الافراد وفق التكوينات الثلاث ، فقد يحصل فرد على الارقام الآتية ١-٢-٧ يعني هذا ان التكوين الاندومورفي لديه عال جداً ، في حين التكوين الميزومورفي قليل لحصوله على رقم (٢) ، في الوقت الذي يكون تكوينه الاكتومورفي في الحد الادنى حيث حصل على الرقم (١) . وهكذا تم تصنيف الافراد وفق هذه التكوينات وتشعباتها .

ثم قام شلدون بعد ذلك بمحاولة لتحديد السمات التي يتسم بها الانسان في ضوء استغراقه لقراءات متعددة وابحاث كثيرة في الشخصية وقد جمع

مايزيد عن ال(٦٠٠) سمة . وقام مع مجموعة من مساعديه باختصار هذه السمات خصوصاً المتداخلة ووصل في هذه العملية الى تجميع السمات المتشابهة واصبح العدد في النهاية (٥٠) سمة ومن خلال تكتيك الملاحظة الدقيقة والمنظمة لمدة عام لعينة من طلاب الدراسات العليا خلال نشاطهم اليومي في الدراسة والترقية بالاضافة الى بعض المقابلات الكليينكية المنظمة ، تم قياس كل فرد من افراد العينة وفق مقياس سباعي لكل سمة من هذه السمات الخمسين ، وجمع السمات ذات الارتباط الموجب العالي معاً (لا يقل معامل الارتباط عن ٠,٦) وتكون في الوقت نفسه ذات ارتباط سالب بالتجمعات الاخرى من السمات الباقية (يكون ارتباطاً سالباً قدره -٠,٣ في الاقل) . ومن خلال هذه التجمعات من السمات Cluster of traits افترض وجود متغير كامن وراء هذه المجموعة ، وهو مايسمى في الاحصاء بالعامل Factor ، ويعني هذا ان عملية التجميع هذه بطريقة التحليل العاملي Factor analysis كشفت عن وجود ثلاث مجموعات رئيسة من السمات تشمل ٢٢ سمة من السمات الاصلية الخمسين .

التجمع الاول : Cluster one وتنضمن السمات الآتية :

- | | |
|--------------------------------|----------------------------------|
| ١ - الاسترخاء في الوضع والحركة | Relaxation in posture & movement |
| ٢ - حب الراحة الجسدية | love of physical comfort |
| ٣ - رد الفعل البطيء | Slow reaction |
| ٤ - حب الحفلات المهيبة | love of polite ceremony |
| ٥ - المخاوف الاجتماعية | Sociophilia |
| ٦ - ثنائية تيار العواطف | Evenness of emotional flow |
| ٧ - التسامح | Tolerance |

Complacency ٨ - الرضا

Untempered characteristics ٩ - المزاج العنيف

Easy communication fo feeling, extra ، ١٠ - سهولة التواصل ،
version of viscerotonia انبساط المكون الحشوي

ويتضمن السمات الآتية : - **Cluster two** التجمع الثاني

١- التوكيدية في الوضع والحركة

Assertiveness of posture and movement

love of physical adventure ٢ - حب المغامرة الجسمية

The energetic characteristic ٣ - خاصية الحيوية والنشاط

Need and enjoyment of exercise ٤ - الحاجة والأستمتاع بالتمارين

Love of risk and chance ٥ - حب المخاطرة والصدفة

Bold directness of manner ٦ - الأسلوب الشجاع المباشر

Physical courage for combat ٧ - شجاعة بدنية للمقاتلة

Competitive aggressiveness ٨ - العدوانية التنافسية

The unrestrained voice ٩ - الصوت المدوي (المجلجل)

Over maturity of appearance ١٠ - مظهر يتسم بزيادة النضج

ويتضمن السمات الآتية : - **Cluster three** التجمع الثالث :

١ - التحفظ في الوضع والحركة ، التزمتم Oestrain in posture and movement, tightness

Overly fast reactions ٢ - ردود فعل سريعة ومبالغ فيها

love of privacy ٣ - حب الخصوصية

٤ - التركيز العقلي ، الانتباه الزائد الحدة ، الفهم والأستيعاب .

Mental overintensity, Hyperattentionality ,Apprehensiveness

- ٥ - السرية في المشاعر ، التحفظ الانفعالي
Secretiveness of feeling, emotional restraint
- ٦ - التيقظ الواعي في تعبير العينين والوجه
Self-conscious mobility of the eyes and face
- ٧ - الخوف المرضي من المجتمع
Sociophilia
- ٨ - الكف عن المخاطبة امام جمع من الناس .
Inhibited social address
- ٩ - التحفظ في اخراج الصوت العالي والتحفظ العام ضد الضوضاء
Vocal restraint and general restraint of noise
- ١٠ - سلوك شبابي متعمد ومظهر شبابي
Youthful intentness of manner and appearance
- لسمات الثلاثون يكونون المقياس المختصر لشلدون ١٩٤٢
* The thirty traits constitute collectively the short form of the Sheldon's scale 1942.
- اطلق شلدون على التكوين الذي يتسم بالمجموعة الأولى من السمات (العشر) في المقياس المختصر ، والعشرين في المقياس الكامل (بالتكوين الحشوي Visceroton والتكوين الذي يتسم بالمجموعة الثانية من السمات (العشر) في المقياس المختصر ، والعشرين في المقياس الكامل (بالتكوين البدني Somatoton). والتكوين الذي يتسم بالمجموعة الثالثة من السمات (العشر) في المقياس المختصر ، والعشرين في المقياس الكامل (بالتكوين المخي Cerebrototoni

(توجد ثلاثون سمة اخرى تكمل المقياس الأصلي ، بحيث يشمل كل تجمع عشرين سمة ، ولكن السمات الثلاثين المنتقاة في المقياس المختصر تكفي لغرض التصنيف Taxonomy

اعتمد شلدون في دراساته المستفيضة في التكوين الجسمي وفي السمات المراجعة على المنهج الاستقرائي Inductive method والاستقراء كما هو معروف Induction كان من وضع فرانسيس بيكون Francis Bacon (١٥٦١-١٦٢٦) وكان رداً على المنهج الاستنباطي Deductive method الذي كان سائداً منذ ارسطو . ! «ويعتمد الاستقراء على الوصول الى القانون العام للظاهرة بالانتقال من دراسة الخصائص الجزئية وصولاً الى التعميم / / فعلى سبيل المثال اذا قلنا ان الذهب يتمدد بالحرارة ، والحديد يتمدد بالحرارة ، والرصاص يتمدد بالحرارة ... نخلص من ذلك الى قانون عام مؤداه المعادن (الفلزات) تتمدد بالحرارة) . وهذا عكس الاستنباط الذي يبدأ من قضايا كلية ليصل الى الجزء ، وفي المثال السابق نفسه يمكن ان نقول ان المعادن (الفلزات) تتمدد بالحرارة) ، الذهب معدن (فلز) اذ الذهب يتمدد بالحرارة» . والنمو من وجهة نظر شلدون يتم وفق الاستعدادات البايولوجية ، وهذه الاستعدادات تؤدي الى الاشكال المتميزة في السلوك . ومع اعتراف شلدون بالاشعور كأحد محددات السلوك يعده نتائجاً للعوامل البايولوجية ، واذا ما تفهم الفرد استعداداته البايولوجية فانه يتمكن حينذاك من تفهم المؤثرات اللاشعورية التي توجه سلوكه .

كذلك قام شلدون بدراسات مستفيضة للبحث فيما اذا كان ثمة علاقة بين التكوين الجسمي والجناح ، وكذلك بين التكوين الجسمي والامراض العقلية ، وظهرت هذه الدراسات في كتابه «تنوعات في الشباب الجانح "Varieties of delinquent youth" ١٩٤٩ .

تقويم النظرية التكوينية (الجيلية) :

فجرت اعمال شلدون الكثير من المستغلقات امام الدراسات التي تلتها في

الارسطاطالي الذي يجمع الظواهر في صورة فئات (كما سبق ان ذكرنا في هذا الفصل) .

كما يشير اولبورت ايضاً الى ان الطفولة تتباين هي والرشد بنفس النظرة القنوية في الوقت الذي يعدهما فرويد سياتاً واحداً ، كما سبق ان ذكرنا ايضاً لان هذا هو النهج الجاليلي الذي يفكر بلغة السياقات .

١٠٠ - يعارض اولبورت الاستعارة من العلوم الطبيعية ، ويرفض التجريب واجراء الممارسات المعملية (المختبرية) ، اذ يدعو دائماً لفصل العلوم الانسانية عن العلوم الطبيعية ، وفصل المنهج المستخدم في كل منهما . والشخصية في تصوره لا يمكن فهمها او دراستها بايجاد القوانين التي يمكن ان تفسرها ، بل يمكن فقط فهمها عن طريق دراسة الحالة وفي هذا يتفق تماماً مع فرويد .

المفاهيم الاساسية عند اولبورت : -

Trait السمة

يعدها اولبورت الوحدة الطبيعية natural unit لوصف الشخصية

وقبل صدور كتابه المشهور عام ١٩٣٧ ، قام في عام ١٩٣٦ مع اودبرت Odbert بتجميع عدة آلاف من الكلمات ترمز الى السلوك الناتج عن الناس (تزيد على ١٧ ألف كلمة) صنفها واختصرها ، وازال منها الكلمات التي تمت الى حالات مزاجية مؤقتة ، ومتشابهة ، واستبعد ايضاً الكلمات التقويمية (ذات المعيار الحكمي) ، وبقي لديهما حوالي ٤٥٠٠ كلمة كلها قاصرة على وصف السلوك .

السمات

(جوردن اولبورت)

وفي الكتاب المذكور اعلاه تعد السمة منظومة نفس عصبية تخص الفرد . هذه المنظومة القدرة على نقل العديد من المنبهات المتعادلة من الناحية الوظيفية ، وتهدف الى التعبير عن السلوك التوافقي ، وهي موجودة داخل الشخصية . وقد أكد البورت ان السمات تكون متكاملة في الشخص (منظومة) - وليست من خيال الملاحظ - وهذه المنظومة يمكن ملاحظتها من الخارج عن طريق السلوك ، فسمه العدوان مثلاً تلاحظ من خلال سلوك الفرد العدواني .

في البداية قسم اولبورت السمات على عامة وخاصة : والعامة هي التي يشترك فيها جمع من الناس في اية ثقافة ، وهي تجزيدات abstracts تعكس ماهو شائع من مفاهيم وافكار وعادات وقيم اجتماعية ، وهي خاضعة للضغوط الاجتماعية لمسايرة الفرد لها . هذا النوع من السمات لم يوله اولبورت اهتماماً ، ومن ثم لايعدها سمات اساسية . اما السمات الخاصة (الفردية) فقد اطلق عليها مصطلح « استعدادات شخصية » Personal dispositions وهي منظومات نفسية عصبية تعمل على تحريك السلوك وتوجيهه في اتجاه ما . ويمكن بالملاحظة الدقيقة لفترة زمنية طويلة لسلوك شخص ما ، ان يلاحظ هذا الانتظام في طريقة استجابة الفرد للمنبهات المختلفة في المواقف المتشابهة والمتباعدة في ضوء مؤثرات بيئة الشخص وثقافته . وقام بتقسيم هذه السمات على ثلاث مستويات :

١ - المستوى الاول والاعمق وبه سمة واحدة خاصة بالفرد - ليس بالضرورة كل فرد - تسمى سمة « قلبية » Cardinal trait وتتسم بالشمولية والعمومية ، وهي توجه الشخص وتسيطر على سلوكه ، وكأنها الحاكم الامر الناهي بالنسبة للشخص ، مثل سمة

السادية Sadism (التلذذ بايذاء الآخر والاستمتاع بذلك) ، والملازوشية Masochism (التلذذ بالايذاء من الآخرين والاستمتاع بذلك) .

٢ - المستوى الثاني وبه مجموعة من السمات قليلة العدد نسبياً (من ١٠-٥) على الأكثر ، وتتضمن خصائص سلوك هذا الفرد ويتكرر التعبير عنها في مواقف متباينة ، وتسمى بالسمات المركزية Central traits وتخلع على سلوك الفرد مثل : العاطفي Sentimental والعدواني Aggressive والساخر Ironical .

٣ - المستوى الثالث وبه مجموعة كبيرة من السمات الثانوية Secondary traits لايسهل ملاحظتها الا بالمعايشة مدة طويلة (في داخل الاسرة الواحدة) او الاصدقاء المقربين .

ويمكن تجميع محددات السمات لديه في النقاط :

١ - السمة اكثر عمومية من العادة habit ولها أكثر من وجود اسمي لانها موجودة في داخل الشخصية .

٢ - تؤدي السمة دوراً دينامياً ، وهي منفردة (مستقلة) ومتفاعلة هي وغيرها من السمات التي تدفع السلوك .

٣ - يمكن ملاحظة نتائج السمة وقياسها بالوسائل السيكمومترية العادية ، (يمكن قياس السلوك الانطوائي الذي يعبر عن سمة الانطواء ، ويمكن قياس السلوك العدواني الذي يعبر عن سمة العدوان وهكذا) .

٤ - قد ينتج عن الفرد انواع غير متوقعة من السلوك في ظروف خاصة ، تناقض ما يوصف به عادة من سمات ، فقد نجد الشخص المتسامح في مواقف كثيرة ، جامداً متصلباً في موقف ما ، وقد نجد الشخص العدواني في مواقف كثيرة عطوفاً في موقف معين وهكذا .

٥ - تعد السمات مفاهيم لوصف السلوك ، وليست مفاهيم لتفسير السلوك.
ويضيف بيشوف Bishof عام (١٩٦٤) في كتابه «تفسير نظريات
الشخصية» Interpreting personality theories
لهذه المحددات من وجهة نظر اولبورت تتمثل في ان مفهوم السمات بوصفها
وحدات Units يساعد على تفسير الثبات الذي تتسم به الشخصية ،
ويمكن للسمات المكتسبة ان تصبح وحدات اساسية دافعة ويؤدي هذا
الى مدخل جديد قدمه اولبورت تحت مفهوم الاستقلال الوظيفي ويعتد
مفهوماً مهماً من المفاهيم الاساسية عند اولبورت .

الاستقلال الوظيفي : Functional autonomy

يعبر هذا المفهوم عن سلوك مائة ديه الكائن لتحقيق هدف معين ، او
لمواجهة موقف خاص ، وهذا السلوك نفسه يمكن ان يصبح هدفاً في
حد ذاته بعد ذلك . وبمعنى آخر ان هناك ميلاً لدى الكائن لممارسة سلوك
معين حتى اذا غاب المبرر الاصلي لاداء هذا السلوك .
ويقسم اولبورت هذا المفهوم على نوعين :

١- الاستقلال الوظيفي الذاتي المتأبى Perseverative Functional autonomy

هذا السلوك متواجد في الانسان والحيوان على السواء (خصوصاً الثدييات) ،
ويتضح هذا النوع من السلوك في الكثير من الاداءات والايقاعات الحركية
المتكررة ، وكأنها افعال منعكسة بدون المثير ، فقد لوحظ في احد التجارب
على فئران في متاهة انها كانت تحاول مسرعة اجتياز المتاهة للحصول على
الطعام في نهاية الممر لاشباع حالة الجوع لديها . وبعد ان تم اشباع حالة
الجوع ، كانت الفئران تحاول مسرعة ايضاً اجتياز المتاهة ليس للحصول على

الطعام لانها اشبعت فعلا ، ولكن تكرار السلوك هنا يدل على انه ليس غائباً
الا اذا اعتبرنا ان التسلية غاية في مثل هذه الحالات . والمقصود من وجهة
نظر اولبورت ان السلوك لم يعد يحقق هدفاً بايولوجياً (اشباع الجوع ، ولم
يحدث له انطفاء) extinction

٢ - الاستقلال الوظيفي الجوهرى Propriate Functional autonomy

يعد اولبورت النوع الثاني من السلوك منظومة مفتوحة open-system
والتنظيم داخل هذه المنظومة على مستوى ارقى من النوع الاول من السلوك.
وتعد هذه المنظومة بمثابة القوة الدافعة الكامنة لما يكون قد تم اكتسابه
من اهتمامات (ميول) interests ، واتجاهات attitudes ،
وعواطف sentiments ، وقيم values . وبمعنى آخر كل
ما تم استدخاله في الفرد واصبح نمطاً فريداً للفرد. وقد اطلق اولبورت على
هذا النوع من السلوك في كتابه الصورة Becoming عام ١٩٥٥
اسم الدوافع الجوهرية Propriate motives الانا او الذات Ego or self.
يستخدم اولبورت هذين المصطلحين بطريقة مترادفة . وسبب الترادف
يرجع إلى انهما مفهومان غير محددين بوضوح ، الا انه يعتقد أن بعض
الأفكار ، او الأفعال ، أكثر قدرة في كشف الذات او الانا من غيرها ،
وموضوع الذات يفتح الباب واسعاً امام الكثير من القضايا الجدلية (الخلافية)
التي تتصل بطبيعة الانسان وطبيعة الروح والعقل ، ومفهوم الحرية والقهر ،
والخلود الخ . ويرى اولبورت ان هذه الصعوبات لا ينبغي لها ان تغفل
هذا المفهوم لمجموعة من الاسباب .

١ - المعيار الوحيد الصادق لوجود الشخصية ووجودها يكمن في واقع الامر باحساسنا بذواتنا .

٢ - تبقى كل نظريات التعلم ونظريات الدوافع قاصرة ، اذا لم تستطع الكشف عن مفهوم الذات في الشخصية ، لانها هي التي تتعلم وهي التي تدفع بالشخص نحو غايته .

٣ - يكمن الدور الاساس في علم النفس في تقديمه فكراً واقعياً محكماً عن معنى الذات ، اذ يسهم في ان تتبلور من خلاله الرؤى الفلسفية .

ويختلف مفهوم الذات عند اولوبورت عن المفهوم المطروح عند فرويد فالذات او الانا جزء من عملية دينامية ذات قوى ايجابية ، تؤدي دوراً في توحيد جميع عادات وسمات واتجاهات ومشاعر ونزعات الشخصية ، ولكنها في مفهوم فرويد منبثقة عن «الهو» وتحاول التوفيق بين الهو الساعي لتحقيق مبدأ اللذة ، والانا العليا الساعية لتحقيق المبادئ الاخلاقية ، محققة تناغماً مع مبدأ الواقع .

وقد اقترح اولوبورت مفهوماً بديلاً لكلمتي «الانا» او «الذات» سماه «الجوهر» *Proprium* ، ويعني به جميع وظائف الذات او الانا وتتضمن الاحساس البدني ، وهوية الذات ، وتقدير الذات ، وامتداد الذات ، والتفكير المنطقي ، وصورة الذات والكفاح الجوهري ، والوظائف المعرفية . و «الجوهر» لا يولد مع الانسان ولكنه ينمو مع الوقت ففي الثلاث سنوات الاولى من حياة الفرد ينمو «الجوهر» بالاحساس بيدن الطفل (الاحساس بالجسم) ثم الاحساس بالذات (اسم الطفل) . ثم نجاحات الطفل في المشي والكلام وهو ما يعبر عنه بتقدير الذات *self-esteem* ، وتتطور

بقية المظاهر بعد ذلك ، حتى اذا ما وصل الفرد إلى مرحلة المراهقة يكون «جوهره» قد اكتمل ويعمل من خلال الشخصية بطريقة فريدة ومتميزة.

الدافعية : Motivation

يعد اولبورت هذا المفهوم من اعقد المفاهيم في علم النفس بعامة وفي الشخصية بخاصة . وعن معظم النظريات التي تتناول الدافعية نظريات قاصرة وغير مكتملة بما فيها نظريته هو ، ووضع اربعة مطالب يرى ضرورة توافرها لاية نظرية في الدافعية :-

١ - المطلب الاول . ان تعترف النظرية بالوضع الراهن للدوافع اي ان الدوافع تعمل «هنا والان» ، وبمعنى آخر إنه يرفض مفهوم الدافعية المنبثق من الماضي .

٢ - المطلب الثاني . يتناول هذا المطلب ان تركز النظرية في الدوافع الشعورية ، وهو لا ينكر الدوافع اللاشعورية ولكنها متفاعلة بالضرورة هي والدوافع الشعورية في صورة واحدة ولا يمكن التفسير باعتبارها دوافع منفصلة .

٣ - وبالنسبة للمطلب الثالث ينبغي العناية بدينامية العمليات المعرفية كالتفكير والتذكر ، اذ ان النظريات القديمة التي فسرت الدوافع احياناً بالغرائز او الطاقات الكامنة في الهو ... الخ قد اضعفت دور العمليات المعرفية الواعية . ويرى اولبورت ان العقل والرغبة يمتزجان معاً في واقع يسميه الهيئة او القصد intention .

٤ - ويتلخص المطلب الرابع في انه لا بد من التمييز بين الدوافع العيانية

concrete motives والدوافع المجردة abstract motives

فالدافع العياني هو ما يتمثل في رغبة مباشرة كدافع الشخص نحو

الفصل الرابع نظريات الشخصية

ثانياً : نظريات تستند إلى الحتمية البيئية

النظرية السلوكية

ثالثاً : نظريات تستند إلى الحتمية التفاعلية

الفرويدية الجديدة (ادلر ، هورني ، فروم ، سوليفان)

نظرية المجال

نظرية الحاجات

النظرية الحيوية الاجتماعية

ثانياً : نظريات تستند إلى الحتمية البيئية

السلوكية Behaviourism

يصعب ادعاء ان هناك نظرية تسمى النظرية السلوكية في الشخصية ، فالاتجاه السلوكي يضم مجموعة ضخمة من كبار علماء النفس ، لكل منهم رؤية خاصة ، ومفاهيم قد تتباين من عالم لآخر . ولكن يجمعهم اطار عام متسع ومهم . بدأ هذا التيار السلوكي منذ مايزيد على الثمانين عاماً ولا يزال مؤثراً وفعالاً في الفكر السيكلوجي عامة ، وفي دراسة التعلم على وجه الخصوص .

ولا بد ان نشير الى ان ظهور هذا التيار السلوكي كان حتمياً في ظل مجموعة من الظروف التاريخية والحضارية التي سبقتها ، وكذلك التي عاصرتها . ولعل النظرية الميكانيكية لنيوتن Newton التي اثرت في الفكر الانساني زهاء ثلاثة قرون (القرن ١٧ ، ١٨ ، ١٩) كانت احد المصادر الاساسية لبناء التفكير السلوكي .

وكان لعصر النهضة الصناعية (خلال القرن التاسع عشر) وسيطرة الفلسفة البراجماتية ، وكذا الفلسفة الوضعية (فلسفة العلم) كان لكل ذلك مجتمعاً تأثير واضح في جذور هذا التيار السلوكي . كما ان لافكار دارون Darwin في الانتقاء الطبيعي ، وفي اصل الانواع آثار واضحة ، بل بصمات على الفكر السلوكي . ويتسم هذا التيار بالعلمية والعملية ، ويتعد عن كل ماهو غيبي او ميتافيزيقي ويتعامل هو والمحسوس والملاحظ والقابل للقياس من سلوك الانسان والحيوان . وقد تأثر علم النفس بعامة - ولا يزال - بهذا التيار رغماً عن تعدد الرؤى في داخله .

- بدأ ظهور هذا التيار الفكري في أعمال الفسيولوجي الروسي المشهور

انسان بافلوف Ivan Pavlov (١٩٠٦) أثناء دراسته فسيولوجياً الجهاز الهضمي في الكلاب ، فقد لاحظ بافلوف ان الكلاب تستجيب (باسالة اللعاب) لغير المثير الطبيعي لاسالة اللعاب ، كروية المجرب ، او سماع وقع اقدامه ، او سماع صوت عارض ، لمجرد ان هذا المثير او ذلك قد ارتبط بالمثير الطبيعي وهو الطعام ، وقد اثارت هذه الظاهرة اهتمام بافلوف ، فقام بدراسة استجابة الحيوان لمثير صناعي (صوت شوكة رنانة) مصاحب للمثير الطبيعي (الطعام) . استنتج بافلوف من تجاربه انه اذا شرطت استجابة معينة بمثير يصاحب مثيرها الاصلي ، وكررت عدة مرات ، فان تقديم المثير المصاحب وحده بعد ذلك يمكنه ان يستدعي الاستجابة الشرطية : مثير شرطي (صوت جرس) + مثير غير شرطي (طعام) ——— استجابة (تدفق اللعاب) . (تكرر عدة مرات) مثير شرطي (صوت جرس) ——— استجابة (تدفق اللعاب) .

وقد ارجع بافلوف هذه الظاهرة الى اسس فسيولوجية بحتة استناداً الى احداث مخية افتراضية ، وعدّ النصفين الكرويين مسؤولين عن تنمية الافعال الشرطية من شتى الانواع والترتب . واستنتج بافلوف عدة قوانين .

١ - قانون الكيف والكم Law of quality & quantity

يستلزم حدوث الارتباط بين المثير الشرطي (الصناعي) والمثير غير الشرطي (الطبيعي) ان يسبق المثير الشرطي ظهور المثير غير الشرطي بعدد من الثواني ، وان يتكرر ذلك عدة مرات ، ولكن حين يتوفر للمثير الشرطي شدة غير عادية يمكن ان يحدث الارتباط من مرة واحدة .

٢ - قانون التعميم : Law of generalization

عند حدوث استجابة شرطية لمثير معين ، فان المثيرات الاخرى المشابهة لهذا المثير يمكنها ان تطلق نفس الاستجابة (اذا كان المثير دائرة مثلاً فان

الاشكال البيضاوية القريبة من شكل الدائرة يمكن ان تستدعي نفس الاستجابة) .

٣- قانون التمييز : Law of differentiation

اذا تكونت استجابة شرطية لمثيرين شرطين مختلفين ، واصبح التعزيز اي تقديم المثير غير الشرطي (الطبيعي) يتبع احد هذين المثيرين فقط ولا يتبع الآخر ، فإن الحيوان يستطيع التمييز بينهما ولا يستجيب الا في حالة المثير الذي يتبعه التعزيز .

٤- قانون درجات الارتباط : Law of gradient of corrolation

يعد ارتباط المثير الشرطي بالمثير غير الشرطي إرتباطاً من الدرجة الاولى ، فاذا وجد مثير شرطي ثان يسبق المثير الشرطي الاول حدث ارتباط من الدرجة الثانية وهكذا ، ولكن الارتباط لا يتخطى عادة في انتقاله الدرجة الرابعة .

٥- قانون الانطفاء : Law of extinction

اذا تكرر ظهور المثير الشرطي دون ان يتبعه ظهور المثير غير الشرطي ، فان الاستجابة الشرطية تتلاشى تدريجياً ثم تنطفئ .

٦- قانون الإسترجاع التلقائي : Law of spontaneous recovery

ان انطفاء الاستجابة الشرطية نتيجة تقديم المثير الشرطي دون تعزيز بالمثير غير الشرطي لا يكون نهائياً ، فالاستجابة الشرطية تعود للظهور ثانية اذا قدم المثير الشرطي بعد فترة من الزمن يستريح فيها ، او من خلالها الحيوان .

اعجب واطسون Watson (١٩١١) بتجارب بافلوف ، ويعد واطسون بحق زعيم التيار السلوكي في انقى صوره . فقد اغفل الظواهر الشعورية متمثلة في الاستبطان introspection وعدها مادة لاتصلح للدراسة

العلمية والعملية ، واقتصر في دراساته على المسالك الخارجية ، وفي كتابه (مقدمة في علم النفس المقارن ١٩١٤) احل - قانون التكرار وقانون الحدائة Law of racency & law of frequency بدلاً من قانون الاثر عند ثورندايك Law of effect Thorndike ويعني ذلك ان التكرار هو المسؤول عن تدعيم الرابطة بين المثير والاستجابة ، وأن لأحداث الاستجابات أسبقية في الظهور عن غيرها ، كما عدّ واطسون الفعل المنعكس الشرطي هو «وحدة السلوك» ، وهو الأساس الذي يفسر في ضوءه اكتساب العادات ، فالعادة habit - في رأيه - عبارة عن مجموعة من الافعال المنعكسة الشرطية المتعاقبة ، حيث يعد نهاية كل فعل منعكس شرطي بمثابة «مثير» يطلق الفعل المنعكس الشرطي التالي وهكذا .

ثم حاول جاثري Guthrie (١٩٢٥) وضع نظرية الاقتران Contiguity وتعني اقامة ترابط صارم متلازم بين المثير والاستجابة ، وتمثل في : اذا صاحبت مجموعة مثيرات مجموعة حركات (أفعال) ، فان هذه المجموعة تميل عند تكرار حدوثها الى ان تستتبع نفس الحركات ، ولا تتعرض نظرية جاثري للدوافع او التكرار او الاثابة او العقاب ، وكل ماتعنيه هو «التوفيق» بين المثيرات والحركات . كما يشير «جاثري» ايضاً الى ان التكرار قد يكون مهماً اذا ما ارتبط بالمهارات المعقدة المراد تعلمها ، ولكن اذا كانت المهارة بسيطة والمثير نفسه بسيطاً فتكفي آنذاك محاولة واحدة لحدوث الاقتران (عزيز حنا داؤد - ١٩٨٥ ، دراسات وقراءات نفسية وتربوية ، الجزء الثاني) .

وحين نطرح مفهوم السلوكية في مجال الشخصية فاننا نجد على الفور تصور

أب السلوكية «واطسون» عند فاربر I.E Farber (١٩٦٤) «إطار عمل
لدراسة الشخصية كعلم سلوكي «في تغير» الشخصية .

“A Frame work for the study of personality as a behavioural
science” in Personality Change).

اذ يقول (عام ١٩١٩) : «دعنا نعني بمصطلح الشخصية مجموع الموجودات
assets للفرد المتاح منها والمتوقع ، كذلك ماسوف يتعرض له الفرد من
امكانات و عوائق liabilities (المتاح منها والمتوقع ايضاً) .

«والمقصود بالموجودات اولاً المجموع الكلي للعادات المنظمة التي اكتسبت
اجتماعياً ، وكذلك الغرائز المنظمة ، والانفعالات التي نشأت اجتماعياً ،
وكذلك الجوانب المزاجية ، بالاضافة الى التفاعلات بين كل هذه
الموجودات . وثانياً الارتباطات الموجودة والتي تتمثل في امكانات بناء
وتكوين عادات جديدة او تغير عادات قديمة » ، وكذلك تتمثل في امكانية
استرجاع عادات قديمة اصبحت متروكة (غير مستخدمة) كانت قد
اكتسبت في مرحلة سابقة . كل ذلك في ضوء الظروف البيئية والمؤثرات
الفيزيكية التي يعيشها الفرد . وبمعنى آخر فان الموجودات بالنسبة «لواطسون»
تعبّر «عن كل الجزء الخاص بأجهزة الشخص التي تعمل من اجل توافقه
وتوازنه في محيطه البيئي الحالي ، وكذلك لاعادة توافقه وتوازنه اذا
تغيرت بيئته . والمقصود «بما سوف يتعرض له الشخص» liabilities
هذا الجزء من امكانات الفرد وتجهيزاته ، التي لاتعمل في البيئة الحالية
(الوجود الحالي) ، والعوامل الكامنة التي قد تحول دون نهوضه لمواجهة البيئة
المتغيرة . وتعدّ الشخصية في هذه الحالة عملية مستمرة Continuous process
وتؤكد وجهة النظر السلوكية على مظهرين مهمين في دراسة الشخصية :

١ - الشخصية يعدّها نتاجاً في اية لحظة في مجرى الحياة المستمر ، حيث -
تتكون من مجموعة عمليات وانشطة تتضح من خلال السلوك وحيث
ان هذه العمليات والانشطة بمثابة ردود افعال من المثيرات في بيئة
الفرد ، واذ ان البيئة عادة ماتكون ~~جسدية~~ بمثيرات كثيرة ومتباينة ،
فانه يتوقع بصفة مستمرة وجود انواع متباينة من السلوك كردود
افعال ، وهو ما جعل النظرة السلوكية للشخصية تعدّ الشخصية هي
السلوك .

٢ - والمظهر الآخر هو التغير مع النمو في الشخصية فاذا كانت الشخصية
متغيرة دوماً (لتغير المثيرات وتعددتها) أصبحت الشخصية آنذاك
منظومة مفتوحة للتغير من المهد الى اللحد ، إذ يكتسب الفرد طوال
رحلة حياته عادات جديدة تعدل من عادات سابقة . وتحل مواقف
جديدة محل مواقف قديمة ، ومع تغير المواقف situations
تتغير الطرق والاساليب السابقة لتفسح المجال امام طرق واساليب
جديدة تتكون ~~من~~ ثم فهناك رفض بات لوجود محددات مسبقة
للسلوك او مايسمى بعض المنظرين في الشخصية بالديناميات (راجع
الفصل الثالث) ، ويقدم التيار السلوكي نظرية للسلوك بدلاً من نظرية
الشخصية ، اذ يقدم السلوكيون مفاهيم خاصة : مثل التعلم والدافعية
ويبتعدون عن مفهوم الشخصية او الانامية ، او القوى المؤثرة ، او
الطاقة الكامنة ، ويتوج الفكر السلوكي في الشخصية علماً حاولا
ان يضع نظرية شبه متكاملة عن الشخصية في كتابهما (الشخصية
والعلاج النفسي) Personality and Psychotherapy سنة
١٩٥٠ وهما «جون دولارد» John Dollard ونيل ميلر Neal Miller

حاول ميللر ودولارد ان يستفيدا من مفاهيم الشخصية التي طرحها « فرويد » مستخدمين في ذلك مبادئ التعلم كما طرحها السلوكية الحديثة .

وقد قاما بتقديم اربعة مفاهيم نظرية تعدّ : الاساس في عملية التعلم وبناء الشخصية في نفس الوقت وهذه المفاهيم هي : -

- ١ - الحافز : incentive او الدافع drive او الدافعية motivation
- ٢ - الدليل : cue او العلامة sign او المثير stimulus
- ٣ - الاستجابة : response كما تتمثل في الفعل action او التفكير thinking
- ٤ - التدعيم : reinforcement بشقيه الايجابي positive والسلبى negative او الثواب reward والعقاب Punishment

فالحافز او الدافع يحث ويدفع كي يستجيب الكائن بأستجابة ما، واذا ما تمّ تدعيم هذه الأستجابة بالأثابة (اي تدعيم موجب) تقوى الرابطة relation بين المثير وبين الأستجابة. يكتسب المتعلم كم من الأستجابات في ضوء مجموعة المثيرات، هذه الأستجابات المكتسبة تؤدى دوراً في تدعيم الدافع الذي استثار الأستجابة الأولى . ويذكر « دولارد وميلر » ان اي مثير يمكن ان يصبح حافزاً او دافعاً اذا كان قوياً بدرجة كافية، وكلما زادت قوة المثير اوشدته (قوة الدافع، والحافز) كلما زادت فعاليته في الإداء .

وقد قسمت هذه المثيرات بعدها حوافز الى مجموعتين :

- ١ - مجموعة فطرية اولية Primary innate motives وهي المجموعة التي ترتبط بالحاجات الفسيولوجية . Physiological needs مثل

حاول ميلر ودولارد ان يستفيدا من مفاهيم الشخصية التي طرحها « فرويد » مستخدمين في ذلك مبادئ التعلم كما طرحها السلوكية الحديثة .

وقد قاما بتقديم اربعة مفاهيم نظرية تعدّ : الاساس في عملية التعلم وبناء الشخصية في نفس الوقت وهذه المفاهيم هي : -

- ١ - الحافز : incentive او الدافع drive او الدافعية motivation
- ٢ - الدليل : cue او العلامة sign او المثير stimulus
- ٣ - الاستجابة : response كما تتمثل في الفعل action او التفكير thinking

- ٤ - التدعيم : reinforcement بشقيه الايجابي positive والسلبى negative او الثواب reward والعقاب Punishment

فالحافز او الدافع يحث ويدفع كي يستجيب الكائن بأستجابة ما، واذا ما تمّ تدعيم هذه الأستجابة بالأثابة (اي تدعيم موجب) تقوى الرابطة relation بين المثير وبين الأستجابة. يكتسب المتعلم كم من الأستجابات في ضوء مجموعة المثيرات، هذه الأستجابات المكتسبة تؤدي دوراً في تدعيم الدافع الذي استثار الأستجابة الأولى . ويذكر « دولارد وميلر » ان اي مثير يمكن ان يصبح حافزاً او دافعاً اذا كان قوياً بدرجة كافية، وكلما زادت قوة المثير اوشدته (قوة الدافع، والحافز) كلما زادت فعاليته في الإداء .

وقد قسمت هذه المثيرات بعدها حوافز الى مجموعتين :

- ١ - مجموعة فطرية اولية Primary innate motives وهي المجموعة التي ترتبط بالحاجات الفسيولوجية . Physiological needs مثل

الجوع ، العطش ، الجنس ، التعب ، الألم الخ وكلها حاجات لازمة لحياة الكائن الحي .

٢ - مجموعة ثانوية مكتسبة Secondary acquired motives وهذه المجموعة تكتسب من خلال البيئة الاجتماعية التي يعيشها الفرد مثل الأمن ، والمحبة ، والتقدير ، والأنجاز ، والحرية ، والضبط ، والأثماء الخ ويخلع عليها «دولارد وميللر» مصطلح دوافع اجتماعية Social motives .

ويقول هل Hull وهو احد السلوكيين البارزين « واستاذ كل من دولارد وميللر » نظرية في كيفية اكتساب هذه الدوافع الاجتماعية بحيث تنشأ مع الطفل وهو في المهد وتظل معه طوال رحلة حياته ، فأثناء عملية الرضاعة . (الرضاعة الطبيعية خاصة) breast feeding تقوم الأم او المرضعة بحضن الطفل ودغدغته ، وتقبيله ، واضفاء الكثير من الحنان والسدف بالنسبة له . ومع تكرار حدوث هذه العمليات المصاحبة concomitant processes تصبح في حد ذاتها دوافع او حاجات مكتسبة وتتطلب الأشباع . واذ كان موقف التغذية مرتبطاً بأختزال دافع الجوع drive-reduction فهو ينمي في الوقت نفسه دافع المحبة affection ودافع الأمن security . وينسحب نفس الكلام على تنمية الدوافع الاجتماعية الأخرى ، كالتقدير والأنجاز على سبيل المثال ، فإذا استطاع الطفل ان يستقل في نهاية العام الأول بالمشي ويمسك الأشياء ، واثيب على ذلك من جانب الأم ، بتعابير الوجه المفرحة ، يتدعم سلوك الطفل ويتحسن ادائه ، وانتقل من انجاز الى اخر ، الا انه اثناء العام الثاني يقابل الطفل مواقف جديدة تولد لديه صراعات ، وهذه المواقف تختص اساساً بمحاولة تعويد الطفل وتدريبه

كي يتحكم في عمليتي التبرز والتبول، ويتوقف سلوك الطفل هنا على مهارة الأم او من يقوم مقامها ، اذ قد يعاني الطفل من صراع اذا كانت الأم قاسية عصبية ، ولايستطيع هو ان يفهم سبب هذا التحكم في ضبط هاتين العمليتين ، وقد تمر المرحلة بسهولة اذا ما اتسم سلوك الأم بالصبر والحنكة والثقافة . ومع مزيد من نمو الطفل يكتسب المزيد من الدوافع الاجتماعية كالانتماء والحرية والضبط .

وبالنسبة للدليل (المثير) «بشرط دولارد وميللر» ان يكون محدداً واضح الملامح متميزاً من حيث الشكل او اللون او الحجم او اية خاصية اخرى تميزه عن المثيرات الأخرى الموجودة معه او حوله ، ويستطيع المثير المحدد والمتميز structured ان يفرض نفسه على المثيرات الأخرى عديمة القيمة في هذا الموقف بالذات وحتى تتم عملية التعلم .

وبالنسبة للاستجابة لابد ان تكون سليمة او صحيحة اذ انها في هذه الحالة ستختزل الحافز او الدافع ، فتناول طعام شهى مثلاً يخفض بنجاح دافع الجوع ويوجد ضمانات للتأمين في العمل، ويتمثل في العلاج المؤمم او التعويض وفي حالات الإصابة يختزل الدافع نحو الأمن، وهنا تؤدي الدول المتقدمة دوراً واعياً في هذا الاجراء ، اذ تتيح فرص الضمانات الكافية لابناء شعوبها، ويتمثل ذلك في التعليم المجاني والعلاج ايضاً، والتعويض عند الإصابة وايجاد كل الضمانات بما فيها حق العمل المنتج ورفض مفهوم «اللاعمل» او البطالة التي تشيع في بعض النظم بسبب سيطرة رأس المال أو صاحب العمل وتحكمه ، ويؤدي كل ذلك الى خفض دوافع الأمن وتشتير ودوافع القلق بالنسبة للمستقبل. والملاحظ ان حالات الانتحار والجريمة يرتفع معدلها في بعض المجتمعات الرأسمالية عن مثيلاتها في مجتمعات اخرى .

ومبدأ التدعيم يفيد في المحافظة على استرجاع الاستجابة اي تكرار حدوثها
اذا كان التدعيم فورياً وليس مؤجلاً immediate not delayed واذ
كان التدعيم يؤدي الى تقوية الرابطة بين المثير والاستجابة (م- س) ومن ثم
ترتبط الاستجابة بالتدعيم (*).

واذا لم تثب الاستجابة حدث انطفاء لها ، وقد لوحظ ان العادات الأقوى
والأشد رسوخاً (نتيجة وجود حوافز او دوافع قوية) تكون اقدر على مقاومة
الانطفاء من العادات الأقل قوة (التي تكون دوافعها او حوافزها ضعيفة) .
والملاحظ ايضاً ان عملية الانطفاء قد تزول عقب فترة من الراحة وتعود
الاستجابة في صورة الاسترجاع التلقائي spontaneous recovery
حاول «دولارد وميللر» في الدراسات المتعددة التي قاما بها تطويع بعض
المفاهيم الفرويدية- كما سبق ان ذكرنا- بمبادئ التعلم السلوكي ، وعلى
سبيل المثال فقد قاما بتأويل كيفية تعلم العصاب Neurosis

من المعروف ان مفهوم فرويد عن «العصاب» مفهوم دينامي ناشيء عن
صراعات قابلها الطفل في اثناء مراحل نموه الباكرة خصوصاً الصراعات التي
تعمل في نفسه من ناحية «الهو» و«الانا العليا» و «الانا الواقعية» ويعني هذا
عند فرويد ان دينامية الصراع بين هذه المنظومات الثلاث هي التي تنشأ عنها
العصاب فهي عملية داخلية نفسية صرفة، ولكن «دولارد وميللر» يقدمان

(*) من الملاحظ داخل المدرسة السلوكية وجود نمطين للتدعيم الأول تزعمه بافلوف Pavlov
وهو تدعيم المثير عن طريق ربطه بالمثير الطبيعي (المعزز) وهو الطعام عند كلاب
بافلوف بينما يقف في الطرف الآخر سكينر skinner الذي يقوم بتدعيم الاستجابة
اي ان المعزز هنا يتم عقب الاستجابة الناجحة « السلوكية » في عسر « بافلوف تسمى
بالسلوكية الكلاسيكية Classical behaviourism « السلوكية في عسر »
« سكينر » تسمى بالسلوكية الجديدة neo - behaviourism .

مفهوماً سلوكياً عن نشأة العصاب باعتباره سلوكاً غير متوافق يكتسبه الطفل في اثناء عملية التنشئة الاجتماعية ويتم ذلك من خلال اربعة مواقف هي :
١ - موقف التغذية ٢ - موقف التدريب على النظافة (ضبط عمليتي التبرز والتبول) ٣ - موقف التدريب على الجنس ٤ - موقف التحكم في انفعال الغضب .

هذه المواقف الأربعة هي التي تولد انواعاً من الصراعات تتضح فسي سلوك الفرد. وهذه الأنواع من الصراعات ماهي الا انواع من السلوك غير المتوافق، الذي يمكن ملاحظته وقياسه، وهو رد فعل اوردود افعال لمجموعة من المواقف المثيرة . وهذا يترجم بالدقة مفهوم التيار السلوكي باعتبار ان الأعراض التي نراها في العصاب او غيره ماهو الا سوء توافق سلوكي اي « استجابة » لموقف مثير او مواقف في حياة الفرد . وتلخص حينذاك بنفس الرابطة (م-س). ويؤدي التدعيم هنا دوراً مهماً ، فقد يؤدي السلوك غير المتوافق (الاستجابة) لى تدعيم سالب من جانب المحيطين بالفرد . وقد يؤدي احياناً الى تدعيم موجب من جانب الفرد ذاته، او من جانب المحيطين به ، ففي الحالة الأولى قد ينطفيء هذا السلوك. وفي الحالة الثانية قد يتدعم هذا السلوك ايضاً ، ويقوم معدل السلوك والذين يعالجون العصاب بطريقة العلاج السلوكي الحديث او « تعديل السلوك » . behaviour modification .
ومنهم جوزيف فوليه Joseph Wolpe (١٩٥٨) ، وليونارد اولمان Leonard Olmann (١٩٦٩) ، وليونارد كرازنر Leonard Krazner (١٩٧٠) . كلهم ينتمون- بشكل صريح اوضمني الى نظرية الشخصية عند «دولارد وميلر» - ويتخلص دورهم اساساً في تعديل العادات التي تكون الشخصية ، ولما كانت العادة وسيلة ارتباط بين المثير (الدليل) وبين الاستجابة

والاجتماعية والتاريخ الحضاري، واثّر ذلك كله في بناء الشخصية. وركزت اساساً على البناء العضوي التكويني للفرد وما يصاحبه من اجهزة نفس جنسية. (انظر: عزيز حنا وآخرون: الشخصية بين السواء والمرض ١٩٨٩) ويشترك العلماء الأربعة في انتمائهم للمدرسة الفرويدية الجديدة، مع وجود تباين واضح فيما بينهم، في ضوء الرؤى المختلفة لكل منهم، والتركيز على مفاهيم خاصة ذات دلالة من وجهة نظر كل منهم ولنبدأ :-

الفرويد ادلر (١٨٧٠ - ١٩٣٧)

ولد في فيينا، انهى دراسته للطب وعمل طبيباً للعيون لفترة، ثم تحول الى علم النفس، اوجب بفرويد واشترك معه في تأسيس جمعية فيينا للتحليل النفسي، ثم رأس الجمعية لفترة محدودة. بدأت افكاره تظهر مغايرة لافكار فرويد، وكذلك لاراء اعضاء الجمعية التي يرأسها، ونتيجة للكثير من الاختلافات في الرؤى بينه وبين اقرانه في الجمعية، اضطر للاستقالة ثم ابتعد عن التحليل النفسي الفرويدي.

اهتم « أدلر » بدراسة ذاتية الفرد واطلق مصطلح علم النفس الفردي، Individual Psychology. وسرعان ما التفت حوله بعض العاملين في مجال علم النفس، وتكونت جماعة سميت بجماعة علم النفس الفردي وحين ذهب أدلر ليعيش في الولايات المتحدة الأمريكية ١٩٣٥ سئل من قبل كارل ميرتشيسون Carl Murchison كي يلخص وجهة نظره في علم النفس الفردي. وفي مجلد تحت عنوان علوم النفس Psychologies لعام ١٩٣٠: (اعتاد ميرتشيسون الأستاذ بجامعة كلارك ان ينشر كل خمس سنوات مجلداً في علوم النفس، اذ كانت علوم النفس لسنة ١٩٢٥ واخرى لعام ١٩٣٠ وهكذا ...) .

نظريات
تستند على
الجمعية
التفاعلية

وقد عبّر « أدلر » بوضوح عن مفهومه عن علم النفس الفردي بكتاب مهم بالنسبة له تحت عنوان « الممارسة والنظرية لعلم النفس الفردي » .

The Practice and theory of Individual Psychology

في هذا الكتاب ابرز ادلر ان سلوك الإنسان تحركه الحوافز الاجتماعية باعتبار ان الإنسان كائن اجتماعي ، مرتبط بالآخر ويمارس أنشطة اجتماعية ويكتسب أثناء نموه أسلوب حياة Style of life ، ويتسم بالتعاون والاجتماعية ، وبمعنى آخر يتم تطبيع الفرد اجتماعياً من خلال تعرضه للعلاقات الاجتماعية ويعد الاهتمام الاجتماعي في الفرد فطري innate النشأة ، الا ان شكل العلاقات الاجتماعية وصياغتها تتحدد بنوع المجتمع ، ونوع النظم الاجتماعية السائدة فيه . وعليه فللإنسان بالفطرة اهتمامات اجتماعية ، كما ان الشخصية عند أدلر « متفردة » unique ، كذلك ذات الفرد « فريدة » بدورها ، والشعور في تصوره هو مركز الشخصية والإنسان يعيش شاعراً بذاته ، قادراً على تخطي الصعاب ، ومن ثم يتسم سلوكه بالقصدية intentionality بعض المفاهيم المهمة التي طرحها « ادلر »

١ - النضال من اجل التفوق (تعويض النقص) :

يقول أدلر في كتابه «دراسة للنقص العضوي والتعويضي والنفسي ازاءه عام ١٩١٧ "Study of organ inferiority and its Psychical compensation" ان اصابة الفرد بمرض ما في عضو خاص في الجسم ، يشير الى ضعف بناء او تكوين هذا العضو ويشير بهذا الصدد الى ان الشخص المصاب بعجز او قصور في عضو ما ، يحاول في الغالب تعويض هذا النقص او العجز ، بالعمل على تقوية هذا العضو بالمزيد من العمل او التدريب . ثم تطور هذا المفهوم لديه ، ولم يصبح قاصراً على النقص العضوي فحسب ، ولكنه

وقد عبّر « أدلر » بوضوح عن مفهومه عن علم النفس الفردي بكتاب مهم بالنسبة له تحت عنوان « الممارسة والنظرية لعلم النفس الفردي » .

The Practice and theory of Individual Psychology

في هذا الكتاب ابرز ادلر ان سلوك الإنسان تحركه الحوافز الاجتماعية باعتبار ان الإنسان كائن اجتماعي ، مرتبط بالآخر ويمارس أنشطة اجتماعية ويكتسب أثناء نموه أسلوب حياة Style of life ، ويتسم بالتعاون والاجتماعية ، وبمعنى آخر يتم تطبيع الفرد اجتماعياً من خلال تعرضه للعلاقات الاجتماعية ويعد الاهتمام الاجتماعي في الفرد فطري innate النشأة ، الا ان شكل العلاقات الاجتماعية وصياغتها تتحدد بنوع المجتمع ، ونوع النظم الاجتماعية السائدة فيه . وعليه فللإنسان بالفطرة اهتمامات اجتماعية ، كما ان الشخصية عند أدلر « متفردة » unique ، كذلك ذات الفرد « فريدة » بدورها ، والشعور في تصوره هو مركز الشخصية والإنسان يعيش شاعراً بذاته ، قادراً على تخطي الصعاب ، ومن ثم يتسم سلوكه بالقصدية intentionality بعض المفاهيم المهمة التي طرحها « ادلر »

١ - النضال من اجل التفوق (تعويض النقص) :

يقول أدلر في كتابه «دراسة للنقص العضوي والتعويضي والنفسي اذاءه عام ١٩١٧ "Study of organ inferiority and its Psychical compensation" ان اصابة الفرد بمرض ما في عضو خاص في الجسم ، يشير الى ضعف بناء او تكوين هذا العضو ويشير بهذا الصدد الى ان الشخص المصاب بعجز او قصور في عضو ما ، يحاول في الغالب تعويض هذا النقص او العجز ، بالعمل على تقوية هذا العضو بالمزيد من العمل او التدريب . ثم تطور هذا المفهوم لديه ، ولم يصبح قاصراً على النقص العضوي فحسب ، ولكنه

اصبح يعني به الشعور بالنقص عامة . وقد يتضمن هذا الشعور بالنقص نواحي نفسية او اجتماعية غير النواحي العضوية . وحين يحس الإنسان بهذه «الدونية» يدفعه هذا الشعور للتعويض الزائد Over-compensation وبهذا الصدد يقول « ادلر » الآن بدأت ارى بوضوح في كل ظاهرة نفسية (النضال من اجل التفوق) .

Now I began to see clearly in every psychical Phenomenon the "striving for superiority".

وهذا « النضال » او « الكفاح » يسير موازياً مع النمو الجسمي ، ويعد بمثابة ضرورة واقعية للحياة نفسها . ويعدّ النضال من اجل التفوق الأساس لطرح كل الحلول المتاحة او الممكنة لمواجهة مشكلات الحياة ، وتتبع كل وظائف الإنسان الفرد هذا المفهوم . اي ان كل وظائف الإنسان الفرد تناضل من اجل اكتساب الثقة واليقين ، والمزيد من التفوق والسيطرة ، وهذه القوة المتمثلة في النضال ، تدفع الفرد بصفة مستمرة ليتخطى الصعاب ، وليس هناك من نهاية لهذا الدفع اي ان الحث هنا يتسم بالاستمرارية ويدفع من اسفل الى اعلى . ويقول ادلر في الفصل « ٢١ » من مجلد ميرتشيسون عام ١٩٣٠ .

Adler, A., "Individual Psychology" in Murchison Co., Ed., 1930 "Psychologies"

«مهما كانت المقدمات المنطقية التي يحلم بها كل الفلاسفة وعلماء النفس عن حماية الذات ، ومبدأ اللذة ، والتعاضدية الخ فان كل هذه المصطلحات مزاعم غامضة (مبهمة) ، او محاولات للتعبير عن (الدافع العظيم الصاعد للاعلى great upward drive) ، ويضيف « ان تاريخ العنصر البشري يشير الى وجود هذا الاتجاه كما يتمثل في الإرادة ، والتفكير ، والكلام والبحث عقب الراحة ، وعقب المتعة ، والتعلم ، والفهم ، والعمل والحب كل ذلك » يدل على "betoken" وجود هذا اللحن الخالد،

٢ - أهمية البعد الاجتماعي :

في كتابه «مشكلات العصاب» عام ١٩٢٩ «Problems of Neurosis» يبرز أدلر الدور الاجتماعي الفطري في الفرد . فمنذ الطفولة المبكرة يسعى الطفل لاشباعاته من خلال سياق اجتماعي Social-context ، وتتطور ممارساته ، وحين يحس بالنقص في مواجهة بعض المعوقات يتحفز للعدوان ضد مصادر الأعاقه ساعياً الى القوة Power ومع المزيد من التوافق الاجتماعي ، يتطور السعي من القوة الى النضال من اجل التفوق : (يبرز هنا التأثير المبدئي لفرويد عليه ، فقد طرح « فرويد » مفهوم غرائز الموت كما تمثل في العدوان ، الذي طوره ادلر لمفهومه عن النضال من اجل التفوق (. والملاحظ ان « أدلر » قد نحى نحو اجتماعية الإنسان بدلاً من انانيته وعليه فانسان « أدلر » تحركه اهداف مستقبلية ، كما تحركه توقعاته ، اكثر مما تحركه خبراته الماضية ، واذا كان ثمة مقارنة بينه وبين « فرويد » فالشخصية عند « فرويد » تسير وفق مبدأ « العلية » وتعيش اسيرة للماضي ، ويحكمها الى حد كبير اللاشعور ، في الوقت الذي يصور فيه « أدلر » الشخصية على انها تسير وفق مبدأ « الغائية » وتعيش متطلعة الى المستقبل ويحكمها الشعور .

٣ - الذات المتفردة :

يعد « أدلر » الذات المتفردة متغيراً وسيطاً intervening variable يقع ما بين العالم الخارجي المملوء بالمثيرات ، والاستجابات لهذه المثيرات ، وهي - اي هذه الذات - اساس بناء الشخصية عنده ، وهي تكوين فرضي hypothetical construct ، ولكن تتضح آثار هذا التكوين الفرضي في اداء الفرد اي سلوكه ، وهذه الذات تعمل من خلال ما يقدمه

المجتمع للفرد، ولكن طريقة تناول وتعميل Processing هذه المدخلات يتم بطريقة واسلوب فريدين ، وفي الوقت نفسه لايلغي «أدلر» دور التربية وعوامل التنشئة الاجتماعية من جانب الأباء ، فهي تشجع على قيام الذات المتفردة بدورها بطريقة اكثر نضجاً وفعالية وايجابية ، وذلك بالمقارنة اذا ما كانت عوامل التربية وعوامل التنشئة الاجتماعية يشوبها الكثير من اوجه النقص ، اذ قد يؤدي ذلك الى استجابات مرضية (كالعصاب مثلاً) وقد اعترض « أدلر » ان ترتيب الطفل في الميلاد يعد محمداً حاسماً في بناء شخصيته ، وهو على قناعة بأن الأكبر والأوسط والأصغر من الأطفال داخل الأسرة الواحدة سوف ينمون بشخصيات مختلفة ، وذوات متفردة متباينة لان لديهم خبرات اجتماعية مختلفة . وقد أكدت دراسات « ستانلي شاكر Stanley- Shakter » في كتابه « الوضع الرتبي وكفاءة الطيار المقاتل » ١٩٥٩ Ordinal Position and fighter Pilot effectiveness

هذا الفرض من خلال دراساته عن مجموعات من اسر الطيارين المقاتلين، وترتيب وضعهم الرتبي في الأسرة (الأول ، والثاني ، الثالث ... الخ) وقد أثبتت هذه الدراسات ان للوضع الرتبي اثرأ في درجة القلق والخوف فالموكود اخيراً يكون مقاتلاً افضل من المولود الأول .

٤- الافكار غير الصادقة (الخرافية المتسلطة)

يعيش الإنسان في مواقف كثيرة على افكار غير صادقة (خرافية) ، تتناقلها الأجيال وتعدّ بمثابة حقائق ، ولايمكن التيقن منها الا من خلال اتباع المنهج العلمي في التفكير ، وبمعنى آخر لابد من فهمها كظواهر والكشف عن القوانين التي تحكمها حتى يمكن التنبؤ بها والتحكم فيها وحيث انه يستحيل إخضاعها للمنهج العلمي ، تعدّ اوهاماً يعيشها الفرد .

فاذا اقتنع فرد ما ببعض هذه المقولات دون تمحيص أودحض علمي ،
فقد تسير حياته وفقاً لها ، وتعدّ اهدافاً يهفو لتحقيقها ، ومن ثم يدفعه الوهم
لتحقيق ذلك . ويشيع بين الأيرانيين مثلاً (خرافة مؤداها ان الموت في الحرب
العدوانية من جانبهم ضد العراق ، يؤدي بالميت من الأيرانيين الى مكان ما في
الجنة ، بل ان الأسرى والموتى منهم ، وجدت معهم مفاتيح لهذه الجنة
المزعومة . ومن ثم تشحن هذه الأوهام الروح المعنوية لهؤلاء الأميين بمثل هذه
الأفكار الخرافية) . وكثيراً ما تسمع مقولات مثل كل طويل « اهل » وكل
قصير « فتنة » ، شعب الله المختار ، « الجنس الأري فوق الجميع » ، التاريخ
يعيد نفسه ، القرش الأبيض ينفع في اليوم الأسود ... الخ.

والشخص ذو المنهج العلمي يستطيع ان يتجاوز هذه المقولات ، لانه
يسير بموضوعية نحو تحقيق اهداف يرسمها ويخطط لها بمنهج علمي ، اما
العصابي فيغلب على نمط تفكيره هذه الصور من الأوهام ، ولا يستطيع التخلص
منها ، وعادة ما يتسم سلوكه - من خلال صراعاته بافكار وهمية كثيرة
فهو افضل الكل ، واذكاهم ، واكثرهم جاذبية ، واكثرهم شعبية ، وكثيراً
ما تدفعه هذه الأوهام الى الدخول في منافسات محاولاً تخطي الآخرين ، فاذا
نجح سبب له النجاح خوفاً بسبب حسد الآخرين وهو في حاجة اليهم ، واذا
فشل سبب له الفشل خوفاً مضاعفاً ، وكثيراً ما يصاحب هذا الطموح المرضي
لدى العصابي - نتيجة هذه الأفكار او الاهداف الوهمية - كف في
العمل ، ويحيره الشك في الجميع ، وقد يصاب بالاكئاب .

٥- اسلوب الحياة :

يبدأ اسلوب الحياة ببداية حياة الوليد ، ويتشكل هذا الأسلوب ، من
المؤثرات الباكدة في حياة الطفل . ومن اهم الاتجاهات الوالدية التي تشكل
اسلوب حياة الطفل ثلاث اتجاهات رئيسية :

(أ) اتجاهات الحماية الزائدة Over-protective attitude

ويتمثل هذا الاتجاه الوالدي في تدليل الطفل الزائد ، واشباع رغباته كافة دون حساب ، ويصبح الطفل أمراً ناهياً ، فيتسم أسلوب حياته بالفردية والأنانية ، ولا ينمو لديه الاحساس بالآخرين وبالمجتمع ، وحين يعتاد الفرد هذا الأسلوب يتوقع من الآخرين الامتثال لكل ما يرغب فيه ، وإذا شغل مركزاً مرموقاً في المستقبل يصبح قاسياً لا يشارك الآخرين وجدانياً ، ويتوقع منهم الطاعة والموافقة ، وهو أسلوب يميز انطفاة والوتوقراطيين .

(ب) اتجاه الاهمال الزائد Over-negligence attitude

ويتمثل هذا الاتجاه الوالدي في اهمال الطفل وعدم تحقيق الامن والرعاية والحنان بالنسبة له ، فيشب الطفل ويصبح راشداً حاقداً ، جاف الوجدان ، شكاكاً ، غير آمن ، وحين يصبح راشداً ، يتضح في أسلوب حياته من خلال معاملته للآخرين ، الاجتماعية ، واللائاتماء ، والأنانية ، ومحاولة الكسب بأية طريقة لتأمين حياته .

(ج) اتجاه السطوة الزائدة Over-domineering attitude

ويتمثل هذا الاتجاه الابوي في القسوة في معاملة الابناء ، والعقاب الصارم عند اقل الاخطاء ، ويعاني الطفل من كثرة الاحباطات ، وحين يصبح راشداً ، يتمثل في أسلوب حياته من خلال معاملته للآخرين ظاهرة الرفض ، والعداء ، والرغبة في الانتقام . ويتسم سلوكه بالعدائية hostility والعدوانية aggressiveness وقد ينشأ الطفل وهو يعاني من عجز جسدي او تكويني ، وإذا لم يتلقفه الآباء بذكاء وبصر ، عن طريق التشجيع المستمر ومحاولة غرس الثقة في نفس الطفل ، ليعوض هذا العجز ، بل قد ينجح الآباء في تحويل هذا العجز

إلى قوة عن طريق التعويض ، وإذا لم يع الآباء ذلك ، وحاولا التندر عن الطفل ، أو مجرد الاشفاق السلبي تجاهه ، فكما يقول «ادلر» فإن الاعضاء العاجزة أو المتدنية ربما تكون مسؤولة عن المشاعر النفسية المتدنية ايضاً . (احساس الطفل أو الراشد بالدونية) . ولا يتعارض هذا الطرح ومفهوم «النضال من اجل التفوق» ، ولكن كي يتم هذا التعويض لابد من تشجيع الطفل أولاً ليتجاوز هذا النقص ، ويشجع ويثاب ، وبذا يتحقق كفاحه من اجل التفوق ، ويصبح راشداً سوياً ومتوافقاً ، ودراسة الذكريات والخبرات الاولى للشخص تعد - من وجهة نظر «ادلر» - اساساً مهماً لفهم اسلوب حياته المستقبلي .

ويتمحور العلاج النفسي عند «ادلر» في جعل المريض واعياً بنقصه في معاونة المعالج ، وفي اقناعه بأصل هذا النقص من طفولته ، ومن سوء التوافق الذي ترتب على ذلك ، والهدف من هذا تنمية وزيادة قدرة المريض في معاونة المعالج ، بهذا تُزال «عقدة النقص» لديه نتيجة صحوة عنصري الشجاعة والتفاؤل وإيجاد معنى لحياته .

أريك فروم (١٩٠٠ -

ولد في فرانكفورت بالمانيا ، اتم دراساته في علم النفس وعلم الاجتماع ، وعمل محللاً نفسياً في ميونخ ، وكان من المعجبين بتكنيك «فرويد» في التحليل النفسي . سافر إلى الولايات المتحدة وعمل محاضراً في مجال التحليل النفسي في شيكاغو ثم استقل بفتح عيادة للتحليل خاصة به .

ومن اهم مؤلفاته «الهروب من الحرية» ١٩٤١ Escape from freedom
«والانسان لنفسه» ١٩٤٧ «Man for himself» «والمجتمع العاقل» ١٩٥٥
The sane society

النقطة المحورية في تصور « فروم » عن الشخصية تكمن في التفرقة بين مصطلحين مهمين اولهما الطابع الاجتماعي للشخص The social character of the person ، وثانيهما الطابع الفردي للشخص the individual character of the person . يولي « فروم » اهتماماً بالغاً بالطابع الاجتماعي ، وفي دراساته للاستجابات النفسية لجماعة ما ، يهتم ببناء الطابع الجمعي لافراد هذه الجماعة . وبهذا ينصب الاهتمام لا على ما يميز افراد الجماعة بعضهم عن البعض الاخر ، أي التباين الموجود بين الافراد ، ولكن ينصب الاهتمام في بناء هذا الطابع على ما هو مشترك بين افراد هذه الجماعة ، وهو ما يسميه « بالطابع الاجتماعي » . وبطبيعة الحال لا يتسم هذا الطابع بالخصوصية التي يتسم بها الطابع الفردي ، اذ ان الاخير اما يعني : (كل السمات المميزة للفرد والمصوغة والمكونة لشخصيته) ، بينما يتكون الطابع الاجتماعي من مجموعة مختارة فقط من السمات ، وتعد « النواة الاساسية » essential nucleus في بناء الطابع المميز لمعظم افراد الجماعة . هذه « النواة الاساسية » تكون قد نمت وتطورت نتيجة للخبرات الاساسية واسلوب الحياة الشائع بين افراد هذه الجماعة . ويتوقع ان لا ينسحب هذا الكلام على بعض الافراد ، ومن ثم لا يطيعون بالطابع العام الشائع ، ولكن تظل الحقيقة قائمة ، وهي ان هناك طابعاً عاماً لافراد الجماعة ، والخروج عن هذا الطابع العام الذي يظهر في بعض الافراد مكوناً طابعاً مغايراً قائماً لا يكون الا بعض الانتشارات للنواة الاساسية في هذه الجماعة ، وعليه يصبح مفهوم الطابع الاجتماعي هو المفهوم الرئيس لفهم العملية الاجتماعية .

هذا الطابع الاجتماعي يحدد بدوره التفكير ، والمشاعر ، والافعال لدى الافراد . واذا كان هذا الوضع يغير المفهوم السائد لدى البعض من ان التفكير

عملية معرفية ، موجودة في التنظيم المعرفي (العقلي) ومستقلة عن البناء النفسي
للشخصية ، فان «فروم» يرى ان كل مفاهيم التنظيم المعرفي والوجداني لها
مصفوفة الانفعالية emotional matrix او نسيجاً انفعالياً . فالحب ،
والعدل ، والمساواة ، والتضحية ، والتفكير ، والتخيل ، والتذكر الخ
كلها مفاهيم لها هذه المصفوفة او هذا النسيج الانفعالي . وهذا النسيج له جذور
في الطابع الاجتماعي للفرد ، واذا اردنا ان نفهم روح الثقافة او الكشف
عن مفتاح فهم روح الثقافة في مجتمع ما ، فان علينا ان نبحث عن النسيج
الانفعالي للافكار . فالمجتمعات المتباينة ، او الطبقات الاجتماعية داخل
المجتمع الواحد ، لها طابع اجتماعي خاص ، وفي ضوء هذا الطابع تنمو
لدى هذه المجتمعات او هذه الطبقات افكار خاصة بهم ، وتصبح فاعلة
ومؤثرة في سلوك الافراد . والخلاصة ان بناء طابع الفرد الاجتماعي ، يؤثر
في تفكيره ومشاعره وكذلك افعاله .

ويدلل «فروم» على ذلك بقوله في المجتمع المعاصر ، يمكن ان تصبح افكار
مثل العمل والنجاح مقبولة ، وتعد اهدافاً اساسية في حياة الانسان المعاصر
في مجتمع متقدم ، وربما تجعل الفرد في مثل هذا المجتمع يحس بالوحدة
والقلق وينمو لديه الشك اذا لم يستطع تحقيق هاتين الفكرتين . ولكن الدعاية
لهاتين الفكرتين «العمل والنجاح» والمجهود المتواصل للكفاح من اجل النجاح
اذا ما وجهته لفلاح مكسيكي ، فانها لن تؤثر فيه ، ولن تدفعه ، اذ يصعب
عليه فهم هذا الامر بسبب الطابع الخاص الاجتماعي الذي يميز جماعته .
ونحن نرى بوضوح في مجتمعنا العربي ، طابعاً اجتماعياً خاصاً بكل قطر ،
بكل شريحة في هذا القطر او ذاك في ضوء الثقافة السائدة ، وفي ضوء الثقافات
الفرعية المميزة لجماعات هذا القطر او ذاك في الوطن العربي . ولذلك تكون

الوظيفة الذاتية لطابع الشخص الاجتماعي العادي هي ان توجهه ليعمل وفق ما هو ضروري بالنسبة له ، ومن وجهة نظر عملية . كذلك تجعله راضياً من الوجهة السيكولوجية حين يمارس هذا النشاط . والمطالب الاجتماعية تتحول في الفرد إلى خصائص ، عن طريق الاستدخال internalization ، ويؤدي هذا الاستدخال لهذه المطالب إلى تقوية طاقة الفرد للعمل في المنظومة الاقتصادية والاجتماعية التي ينخرط فيها .

والوظيفة الاجتماعية للتربية كما يطرحها « فروم » هي تأهيل الفرد ليقوم بوظيفته من خلال الدور الذي سؤده في المجتمع مستقبلاً . أي ان التربية مسؤولة كأداة اجتماعية عن جعل الطفل منذ باكورة ايامه ، متوافقاً مع حاجات المجتمع ومطالبه ، بحيث تكون تصرفات الطفل ، ومن ثم الراشد متناغمة مع النظام الاقتصادي الاجتماعي السائد ، وعليه فالشخص في نظر « فروم » حتى يتوافق لابد وان يكون مسائراً conformist .

ففي المجتمع الرأسمالي ، يتعلم الناشئة كيف يسلكون ازاء دعم النظام الرأسمالي ، فتبرز لديهم اهمية التوفير saving لتجميع رأس المال لدعم الاقتصاد على سبيل المثال ، وفي المجتمع الاشتراكي يتعلم الناشئة كيف يحترمون العمل ، بغض النظر عن مستواه ، ويكتسبون مفاهيم العمل الجماعي الانتاجي ، والتعاون ، والبعيد عن الفردية ، حتى يتحلون بالأخلاق الاشتراكية .

واذا فرض المجتمع على الإنسان مطالب تتعارض مع تكوينه سبب له ذلك الأحياء . وكذا الحال اذا تكونت طباع الناس من خلال نظام مجتمع قائم في مرحلة معينة ، ثم تغير هذا المجتمع وتبنى نظاماً جديداً مختلفاً كالتحول مثلاً من الأقطاع الى الرأسمالية ، ومن الرأسمالية الى الاشتراكية ، ومن الريف الى المدينة على سبيل المثال لا الحصر ، قد يؤدي هذا الى اضطراب

الطابع الاجتماعي المتمص لدى الأفراد، وقد يحس الفرد حينذاك بالأغتراب alienation وينزل ويعاني الوحدة . ويرسم « فروم » مجتمعاً يجمع ما بين الناس « المحبة » و « الأخوة » ، مجتمعاً يكتسب فيه كل فرد شعوراً ذاتياً قوياً لا يقهر فيه أو خضوع ، مجتمعاً إنسانياً ، مجتمعاً يتيح الفرص لأفراده ليخلقوا بدلاً من أن يدمروا، وقد أطلق « فروم » على هذا المجتمع « الاشتراكية الإنسانية الجماعية » .

ويشير « فروم » الى وجود اربع حاجات ضرورية للفرد يسعى لأشباعها حتى يحس بالتوافق هذه الحاجات هي :-

١ - الحاجة الى الانتماء الاجتماعي، فالإنسان يختلف عن افراد المملكة الحيوانية ، التي يقتصر تعاملها مع الطبيعة لأشباع حاجاتها العيانية concrete needs اما الإنسان فقد تجاوز اشباعاته العيانية واصبحت له مجموعة حاجات اجتماعية منها الإحساس بالانتماء sense of belongingness ، فالانتماء الى الوطن او الى مكان العمل ، او الى العائلة ، او الى ناد او الى مدرسة فنية معينة، كلها حاجات ضرورية للإنسان ليرتفع فوق الطابع الحيواني .

٢ - الحاجة الى الشموخ (التعالي)، فالإنسان يسعى دوماً للارتفاع والأرتقاء ومن ثم يعمل لتزدهر مواهبه، ويسعى لأن يصبح مرموقاً من خلال تنمية خياله، ومن خلال التحضر، ومن خلال الفنون قاطبة، حتى يصبح مبدعاً، فناً ، مقبلاً على الحياة وعلى الناس ، محباً ، واذا ما صدم او تكررت احباطاته، فإنه يصبح كارهها. والحب والكراهية استجابتان متباينتان لقضية واحدة هي الحاجة الى الشموخ ، فإذا تحقق الأشباع أصبح الشخص محباً، واذا لم يتحقق اشباع هذه الحاجة وحدث الأحباط تولدت الكراهية .

اذ هما استجابتان مختلفتان ناتجتان عن اشباع او عدم اشباع الحاجة
للتعالي .

٣ - الحاجة الى الهوية: يحتاج الفرد في اثناء بناء طابعه الاجتماعي الى ان يتوحد مع الآخر، او يتوحد مع العمل، حتى يتعد عن الوحدة والعزلة والأغتراب . وفي الحالات المرضية قد يتوحد مع المعتدي ، او مع نموذج مرضي، فقد يتوحد العبد مع جلاده ، وقد يمارس دور الجلاد نفسه في المستقبل، ويمكن ان نرى ذلك اذا توحد الصهاينة مع النازيين جلاديهن السابقين وهم يمثلون في فلسطين المحتلة الدور نفسه .

٤ - الحاجة الى الأنضباط الاجتماعي: تحدد المعايير التي يطرحها النظام القائم نوع القيم السائدة، التي ينبغي مسايرتها ، والألتزام بها والتوافق معها، والعمل على تدعيمها . واذا ما امتص افراد المجتمع هذه المعايير والنسق القيمي السائد ساد الوثام كيان المجتمع وعاش في هناء .

يبدو ان هناك خلافاً في الحاجات عند « فروم » عن مفهوم الحاجات عند « فرويد » . فعند « فروم » تنمو لدى الفرد من خلال علاقته بالآخرين حاجات مثل الحب ، الكراهية ، والتعاطف ، وتبادل المنفعة ، والأحاساس بالانتماء الخ . وتعد كل تلك الحاجات ظواهر نفسية اساسية . اما عند « فرويد » فهي نتائج ثانوية نتيجة الأشباع او الأحباطات للحاجات

الغريزية .

ويكمن خلاف آخر مؤداه ان الطفل عند « فرويد » يمارس اللذة من خلال المناطق الشبقية « الفم ، الأست » وذلك من خلال عمليتي الرضاعة والتبرز ، ونتيجة لأستمرار التنبيه الزائد لهذه المناطق والأحباطات المصاحبة لها ، يحدث تثبيت للبيدو في هذه المناطق في الطفولة المبكرة . بينما في النمو

العوامل البيولوجية ، ومن ثم لا ينبغي ان نضع القضية وكأنها « عوامل ثقافية » ضد «عوامل بيولوجية» .

وإذا كان « فرويد » ينظر الى الإنسان بوصفه كينونة entity ومنظومة مغلقة closed system ممنوحة من الطبيعة مع بعض الدوافع الفسيولوجية المشروطة. وإذا كان تفسيره في نمو طابع هذا الإنسان استجابة للأشباع والأحباطات لهذه الدوافع ، فإن مدخل « فروم » لفهم الشخصية الإنسانية يكمن في ادراكه لعلاقة الإنسان بالعالم وبالأخرين وبالطبيعة وب نفسه أيضاً. فالإنسان كائن اجتماعي ، وليس مكتفياً ذاتياً self - sufficient في المقام الأول كما يذكر « فرويد » وتأتي حاجته للأخرين لأشباع حاجاته الغريزية في مقام ثانوي. ولذلك يعد « فروم » علم النفس الفردي في الأساس علم نفس اجتماعي وبمصطلحات «سولفيان» علم نفس العلاقات بين الأشخاص . ومفتاح المشكلة في علم النفس ارتباط الشخص بالعالم وليس اشباع او احباط رغبة غريزية مفردة. وما يحدث للرغبات الغريزية يجب ان يفهم جزء من المشكلة الكلية وهي علاقة الفرد بالعالم ، وليست مشكلة الشخصية الإنسانية. فالحاجات والرغبات التي تتوسط الفرد في علاقته بالأخرين مثل الحب ، والكراهية والتعاطف والمنفعة المتبادلة ، هي الظواهر السيكولوجية الأساسية عند « فروم » بينما هي عند « فرويد » توضع فقط في مقام ثانوي تكون عن الأشباع أو الأحباطات الغريزية .

كارين هورني (١٨٨٥-١٩٥٢)

ولدت في هامبورج (ألمانيا) درست الطب ، وعملت بالتحليل النفسي زهاء خمسة عشر عاماً في معهد برلين للتحليل النفسي ، ثم ذهبت الى الولايات

المتحدة الأمريكية ، وعملت في معهد شيكاغو للتحليل النفسي ، ثم عملت في نيويورك ، واخيراً تركت التحليل النفسي الفرويدي ، وكوّنت رابطة جديدة للتحليل النفسي وفق منظورها الثقافي هي ومجموعة من العلماء المحدثين الذين اعجبوا بأفكارها. التزمت «هورني» بالتحليل النفسي ولكنها حاولت تخليصه من الميكانيكية البايولوجية ، وطرحت شعار ان الاضطرابات النفسية تكمن اساساً في اضطرابات الطابع character وظهرت اهم اعمالها في ثلاث كتب :-

١ - الشخصية العصبية في عصرنا Nurotic personality of our times (١٩٣٧) .

٢ - صراعاتنا الداخلية Our inner conflicts (١٩٤٥) .
٣ - العصاب ونمو الإنسان Neurosis and human growth (١٩٥٠) .

تعطي «هورني» اهتماماً بالغاً بالمؤثرات الثقافية في اثناء تربية الطفل . ولا تهمل في الوقت نفسه العوامل البايولوجية ، وتعد ان التوافق الذي يقود الى السواء واللاتوافق الذي يقود الى العصاب راجعة الى عملية التنشئة الاجتماعية في ضوء ثقافة ماعبر تأريخ هذا الفرد .

وتعد «هورني» العدوان غير فطري او عريزي كما يقول فرويد ، ولكنه وسيلة يحاول بها الإنسان حماية امته . وان القلق وعدم الشعور بالأمن ، مصدران اساسيان لما يشعر به الطفل والراشد ، ويؤديان الى العزلة والتعاسة . وقد يتخذ العصابي اساليب للمواجهة منها مثلاً العدوان على هؤلاء النابذيين له ، او يتخذ سلوكاً مغايراً يتمثل في شدة الخضوع كي يسترجع الحب الذي فقده ، واذا فشل في الحصول على الحب ، فقد يعمل على السيطرة

٣ - الحاجة العصبية الثالثة، وتتمثل في توجه العصبي ضد الناس وضد المجتمع ، فيسلك باحثاً عن القوة او السيطرة او الأمتلاك واستغلال الآخرين. ويتمثل في سلوكه ايضاً ظاهرة (اسقاط) اي رغباته على الآخر. الآخر هو الذي يكرهني ولست انا، الآخر هو الذي يريد استغلالني ولست انا، كما يتسم في سلوكه الشك ازاء الآخرين ويتمثل

ذلك في صورة العصاب القهري Compulsive neurosis .

وتقدم «هورني» تحليلاً رائعاً للخواص التي تتميز العصاب بصفة عامة رغمًا عن تباين انواعه :

١ - الخاصية الأولى في العصاب هي المنافسة Competition

تعلم المنافسة بمثابة حجر الزاوية في صراعات العصبي وتتمثل في النواحي الآتية :

هناك دائماً محاولة لمضاهاة الآخرين، والوقوف امامهم منافساً حتى في المسائل التي لا تتطلب ذلك. ويحاول العصبي تخطي الآخرين في كل مواقف المنافسة حتى مع افراد ليس لديهم الهدف نفسه، ويسعى العصبي نحو الآخرين لمعرفة من هو الأذكى ، من هو الأكثر جاذبية ، من هو الأكثر شعبية ؟

٢ - الخاصية الثانية وتعلق بمحتوى طموح العصبي. وليس الهدف منها

تحقيق شيء يستحق العمل من اجله (اي له قيمة) فحسب ولكن الهدف هنا هو ان يكون احسن الكل . هذه الطموحات توجد في الخيال ، وقد يكون العصبي واعياً بها او غير واع (شعورية اولاشعورية) ، وتختلف درجة التيقظ (الوعي) لهذا الأمر من عصبي لآخر. وقد تظهر في لحظات كالبرق الخاطف ، وتكون عادة في تضاد غريب مع الكف

واستخدام القوة لتعويض احساسه بالعجز او النقص ، وقد يستغل الآخرين منافساً ، ويصبح الكسب عنده اهم من الانجاز . واذا ما استمر الشخص ممارساً لأحد الأساليب التي تحقق له اشباعاته ، فإن هذا الأسلوب قد يصبح في حد ذاته دافعاً ملحاً مميزاً للشخصية . ويتمثل هذا بوضوح في سيكولوجية العصاب . والدافع او الحاجة العصابية يمكن تصنيفها وفق تصور «هورني» على ثلاث حاجات عصابية :

١ - الحاجة العصابية الأولى : وتتمثل في التوجه المرضي نحو الناس سعيًا وراء الحب والتقبل الاجتماعي ، ويتضح في سلوك العصابي رغبته العارمة في ارضاء الآخرين وعمل ما يريدونه كي يرضيهم حتى لا يحس بالهجر . كما يتضح في سلوكه ايضاً عدم القدرة على تحمل النبذ ، وتعتريه رغبة ملحة في ان يكون محط اعجاب الآخرين في ضوء بناء صورة غير حقيقية عن صفاته ، ويرد من الآخرين الأعجاب بهذه الصورة التي صنعها لنفسه ، وقد يتضح في سلوكه الرغبة في ان يكون مرموقاً (البحث عن النجومية) ، ويتضح ذلك في حالات المستريا خاصة . Hysteria

٢ - الحاجة العصابية الثانية ، وتتمثل في التوجه المرضي بعيداً عن الناس سعيًا وراء الاستقلال ، ويتسم سلوك الشخص بالعزوف عن الناس وبعدم الارتباط بأحد نتيجة اخفاقه في محاولاته البائسة في العثور على الدفء العاطفي والمودة والحب . كما يتمثل في سلوك العصابي النمطية ويعاني من الأحساس بالآثام ، ويخشى ارتكاب الأخطاء ويحاول دائماً اخفاء هذه الأخطاء التي يرتكبها ويتضح ذلك في الكثير من مرضى الحصار (الوسواس) . Obsession

٣ - الحاجة العصابية الثالثة، وتتمثل في توجه العصابي ضد الناس وضد المجتمع ، فيسلك باحثاً عن القوة او السيطرة او الأمتلاك واستغلال الآخرين. ويتمثل في سلوكه ايضاً ظاهرة (استقاط) اي رغباته على الآخر. الآخر هو الذي يكرهني ولست انا، الآخر هو الذي يريد استغلالني ولست انا، كما يتسم في سلوكه الشك ازاء الآخرين ويتمثل

ذلك في صورة العصاب القهري Compulsive neurosis

وتقدم «هورني» تحليلاً رائعاً للخواص التي تتميز العصاب بصفة عامة رغماً عن تباين انواعه :

١ - الخاصية الأولى في العصاب هي المنافسة Competition

تعد المنافسة بمثابة حجر الزاوية في صراعات العصابي وتتمثل في النواحي الآتية :

هناك دائماً محاولة لمضاهاة الآخرين، والوقوف امامهم منافساً حتى في المسائل التي لا تتطلب ذلك. ويحاول العصابي تخطي الآخرين في كل مواقف المنافسة حتى مع افراد ليس لديهم الهدف نفسه، ويسعى العصابي نحو الآخرين لمعرفة من هو الأذكى ، من هو الأكثر جاذبية ، من هو الأكثر شعبية ؟

٢ - الخاصية الثانية وتعلق بمحتوى طموح العصابي. وليس الهدف منها تحقيق شيء يستحق العمل من اجله (اي له قيمة) فحسب ولكن الهدف هنا هو ان يكون احسن الكل . هذه الطموحات توجد في الخيال ، وقد يكون العصابي واعياً بها او غير واع (شعورية اولاشعورية) ، وتختلف درجة التيقظ (الوعي) لهذا الأمر من عصابي لآخر. وقد تظهر في لحظات كالبرق الخاطف ، وتكون عادة في تضاد غريب مع الكف

نحو العمل ، او نحو القيادة ، بل نحو كل الوسائل التي يمكن ان تؤدي الى نجاح يؤمن الشخص . وتؤثر هذه الطموحات الخيالية في الحياة الانفعالية للعصابين عن طريق الحساسية الزائدة للنقد ، وحياناً الأصابة بالاكئاب أو الكف الذي يتبعه الفشل . وهذا الفشل قد لا يكون حقيقياً اذ ان كل ما لا يحقق الأحساس بالعظمة grandiose يحس كأنه « فشل » ونجاح شخص آخر يعد فشلاً له . هذا الاتجاه التنافسي لا يوجد فقط مع العالم الخارجي بل هو داخلي ايضاً ، ويظهر ليضاهي الأنا المثالية . والطموحات الخيالية تزداد كمطالب متصلة نحو الذات والفشل في تحقيقها يولد الأكئاب والتوتر كما يحدث مع الآخرين .

٣ - الخاصية الثالثة هي كم العدائية المتضمنة في طموحات العصابي : فينما تتضمن المنافسة الحادة عناصر العدائية ، فهزيمة المنافس تعد بمثابة انتصار للعصابي . واستجابات العصابي تكون محكومة بالنهم (عدم الشبع) واللاعقلانية ، حتى ان العالم لا يوجد فيه غير الذكي المؤثر الجذاب المحبوب . ويصبح العصابي حانقاً ويحس ان محاولاته محكوم عليها باللاجدوى « futility » « لا احد غيري » No one but me . يقود هذا الأحساس الى الخوف من الانتقام « الشار » اذ ان النجاح يعرض للخطر ، والفشل يكون خطراً ينبغي تفاديه اذ الأفضل البقاء في ركن يكون متواضعاً . هذا الخوف يقود الى التراجع عن اية منافسة ويؤدي الى كف خصوصاً في العمل وايضاً ازاء كل الخطوات الضرورية لمتابعة اهداف الشخص . ومعظم العصائيين يحملون احلاماً تظهرهم في مواقف دونية ويحسون بالنقص ازاء

الآخرين، كذلك يحسون بعدم الكفاءة. ووجود هذا الإحساس بالنقص يجعلهم يقفون لخدمة الآخرين. ويتمثل ذلك في الصراع الدائم ابداً بين الطموح والحب، فالطموح يؤدي إلى النجاح أو الفشل والنجاح إذا تم ولد الخوف من المنافس، وهو في حاجة إلى عطفه كما أن الفشل في حد ذاته يؤدي إلى الإحساس بالدونية، ومن ثم النبذ، وهو في حاجة إلى الآخر. وعادة ما يحسد العصابي الشخص الأقوى، ويزدري الشخص الأضعف ولديه عدم الثقة في الكل.

٨ ويمكن اجمال بعض الخلافات بين «هورني» و«فرويد».

١ - على الرغم من أن «هورني» كانت تستخدم التداوي الحر، وتحليل الأحلام، إلا أن علاقة المحلل بالمريض عند «فرويد» تكون محايدة، في الوقت الذي عملت فيه «هورني» على أن تكون العلاقة بينهما تعاونية، إذ يدير المحلل الجلسة عن قصد.

٢ - مادة الطفولة في التحليل عند «فرويد» مادة أساسية فهي المصدر الثري ولكنها عند «هورني» مصدر ذو وزن نسبي، والمهم هو موقف المريض حالياً (أثناء العلاج) إذ من المهم أن تتلمس موقف المريض حالياً وتأثير اتجاهاته ومفاهيمه على حاضره.

٣ - يتسم اتجاه «هورني» في العلاج بمرونة شديدة، حيث يمكن أن تتناول كل مريض كمالة منفردة لها ادواتها الخاصة، وينبغي أن يتكيف المحلل مع كل حالة بمعطياتها كمالة فريدة، وهي هنا تختلف عن فرويد الذي اتسم أسلوبه بالنمطية إلى حد كبير، لأن الاختلافات الثقافية والاجتماعية لم تكن تشغل باله بالقدر الذي اهتمت بها «هورني».

"ہادی ستائے"

سو لیفات

الأبتدائي وهي امتداد للطفولة الباكرة ، الا ان التواصل فيها يزداد من خلال اللعب مع الأقران وتعد مرحلة تنفيسية للطفل في اللعب المنظم داخل المدرسة خاصة .

٤- بداية المراهقة (مشارف المراهقة من ١٠-١٣ عاماً) في هذه المرحلة تنمو علاقات قوية حميمة بين المراهق وفرد من نفس الجنس وهي بداية مرحلة الحب ويعد الآخر بالنسبة للشخص أكثر أهمية من الآباء ويسمى هذا الوضع ثقافة المراهقين المشتركة Peer culture .

٥- المراهقة المتوسطة (في الأعوام من ١٣-١٧ على وجه التقريب) وفيها يتعلق الفرد بالجنس الآخر، وبنفس الجنس في ذات الوقت، فهو في حاجة الى الجنسية الغيرية والجنسية المثلية، وقد تتحد الحاجتان ويتتج عن ذلك الميل الجنسي للجنس نفسه.

٦- المراهقة المتأخرة (من حوالي سن ١٧-٢٠ عاماً) وفي هذه المرحلة تندمج الحاجة الجنسية والحاجة للصدقة الدافئة، لشخص من الجنس الآخر وفي العادة تتركز على شخص واحد .

اهم المفاهيم التي طرحها سوليفان :

١- الشخصية: تعد في نظره تكويناً فرضياً hypotheatical construct واذا كانت وحدة دراسة الشخصية عند « اولبورت » هي السمة، ووحدة الدراسة عند « فرويد » هي الغريزة ، ووحدة الدراسة عند « دولارد وميللر » هي العادة ، فإن وحدة الدراسة عند « سوليفان » هي الموقف الشخصي المتبادل بين الأشخاص وتنظم الشخصية من الوقائع المتبادلة بين الأشخاص وليست الوقائع الشخصية الداخلية . والشخصية تعبر عن نفسها من خلال سلوك الشخص في علاقته بالآخر. وقد تكون

العلاقة مع بطل او نموذج، كما قد تكون هذه العلاقة مع اناس ماتوا في الماضي أو اناس لم يولدوا في المستقبل بعد. وهذه العلاقات الشخصية تحكم العمليات المعرفية كالإدراك والتذكر والتخيل والتفكير والذكاء. وعليه يكون الفرد في حالة اشتباك دائماً مع الآخر أو الآخرين في الواقع، اوفي احلام اليقظة ، day dreams اوفي الأحلام dreams

٢- الديناميات Dynamisms : وهي اجزاء من الطاقة ثابتة الى حد ما تميز الكائن الحي الأنساني، وتتمثل في سلوك الفرد الظاهر كالكلام مثلا او اي اداء قابل للملاحظة، وفي السلوك المضمّر كالنفكير واحلام اليقظة. وتوضح الديناميات (اجزاء السلوك) في علاقة الشخص بالآخرين، فقد يظهر من هذا السلوك (الدينامية) محبته أو كراهيته لفرد او لجماعة، ويتكرر هذا الموقف وتعد الاستجابات اياً كانت (استجابة خوف، وغضب وشهوة وتقديس الخ) بمثابة ديناميات خاصة بهذا الشخص، وتفيد هذه الديناميات في اشباع حاجات الفرد الأساسية .

٣- الذات Self : تعد بمثابة منظومة من اساليب سلوكية يكتسبها الفرد وهذه المنظومة تجعله آمناً لأن هذه الأساليب الناتجة عنها تتوافق مع رغبات الأبوين (في الصغر) فيلقى التعزيز الموجب، في الوقت الذي قد يتلقى العقاب ومايصاحبه من قلق اذا لم تؤدي هذه الأساليب السلوكية مايراد منها. وقد يطلق على المنظومة الأولى وماينتج عنها الذات الطيبة والمنظومة الأخرى وبالذات الشريرة. فوجود الذات المتوافقة تعد حماية للفرد من التعرض للعقاب ومايصاحبه من قلق، بينما وجود الذات غير المتوافقة الشريرة تعد مصدراً لاينضب للقلق والمعاناة .

٤ - التوتر والقلق Tension & Anxiety : يعد « سوليفان » وجود

توتر داخلي محكوم بحاجات الكائن العضوية مثل التوتر الناجم عن عدم اشباع الحاجات الفسيولوجية عامة، واشباعها يخفض التوتر . وهناك نوع آخر من التوتر محكوم بالقلق، وقد يكون القلق المصاحب نتيجة مخاوف او اخطار واقعية او خيالية وتؤدي الى عدم اشباع حاجة الفرد للامن

وينعكس على علاقات الشخص بالآخرين .

والملاحظ اختلاف « سوليفان » عن « فرويد » في رفضه لمقولة « فرويد » بأن الدافع تعبير عن الغرائز، كما يرفض مفهوم الطاقة النفسية الجنسية الليبدو libido ، ويكون السلوك المكتسب نتيجة التفاعل مع الآخرين المعبر الحقيقي عن الشخصية. وفي نفس الوقت لا يرفض « سوليفان » كون العوامل البيولوجية فاعلة ومؤثرة في نمو الشخصية، ولكنها تعمل في ضوء المؤثرات الاجتماعية، وقد تتعارض حاجات الفرد البيولوجية مع المؤثرات الاجتماعية فينشأ الاضطراب في الشخصية، ومن ثم تعد هذه المؤثرات سبباً فيما يلحق بالشخصية من آثار مرضية.

تقويم النظريات السلوكية الاجتماعية :

١ - على الرغم من قيام هذه النظريات على أكتاف نظرية « فرويد » وعلى منهج التحليل النفسي، لها طابع خاص يمكن تلخيصه في عبارة واحدة مؤداها ان الشخصية تتشكل بالمؤثرات الاجتماعية، مع عدم الغاء او نفي للمكونات البيولوجية وتباين هذه النظريات فيما بينها من حيث مجموعة المتغيرات الاجتماعية Social-variables التي توليها الأهمية والفعالية ذات الأثر الأكبر .

الإنسان. ويعتبر توجهه «ليفين» في علم النفس توجهاً اجتماعياً بل قال صراحة ان علم النفس هو علم اجتماعي. وركز في عمله هو واتباعه على دراسة السلوك كدالة للموقف الفيزيقي والاجتماعي .

١- حيز الحياة : life space

بعض المفاهيم المهمة التي طرحها ليفين :

يعد هذا المفهوم من اهم مفاهيم ليفين، والمقصود بهذا المفهوم كل الحقائق (الوقائع) التي تحدد سلوك الشخص في وقت محدد. ويتضمن فقط الوقائع التي تمت للسلوك المعني في موقف ما، اما الأحداث الماضية او المتوقعة مستقبلاً فهي لا تمت للموقف الحالي بصلة، ومن ثم لا تؤثر في السلوك الحالي كذلك يحدد «ليفين» ان بعض الحقائق الحالية (الانية) في الموقف الحاضر لا تمت بشكل مباشر للسلوك، ومن ثم ينبغي استبعادها. وأحياناً يكون حيز الحياة لفرد ما في الماضي، حيث يسرح ويفكر في طفولته مثلاً، اوفي اي حدث في الماضي، وأحياناً يكون حيز الحياة كله في المستقبل. فعين يفكر الشخص في المستقبل، كما يتمثل في نوع الملائد المتوقع الحصول عليها في رحلة ما في المستقبل مع شخص يهيمه، فإنه في حالة انتظار هذا الحدث يكون حيز الحياة هو مايتوقعه الشخص في هذه الرحلة. و«ليفين» يرفض التفسيرات الغريزية للسلوك الإنساني لأنه يشعر ان اسباب السلوك ينبغي ان

تكون حقائق عيانية Concrete facts

وهو يرفض فكرة ان عراك شخص مع آخر ينبع من سابق عدوانيته، (مخزونه من العدوان) ولكنه يفسر هذا بأن الخضوع للسلطة يمكن له تكافؤ سالب عند الشخص، وان الأشخاص الآخرين الذين يعانون من العنف يكون لديهم تكافؤ بالسلب، وكل ذلك يعود الى دينامية الموقف، ان فهم حيز الحياة

للفرد يمكن فهم سلوكه العياني في بيئة سيكولوجية معينة، وفي وقت محدد ويضع ليفين معادلة مؤداها ان السلوك هو دالة حيز الحياة .

(السلوك) س = $\propto$ ح (حيز الحياة)

(السلوك) س = $\propto$ (الشخص $\times$ البيئة)

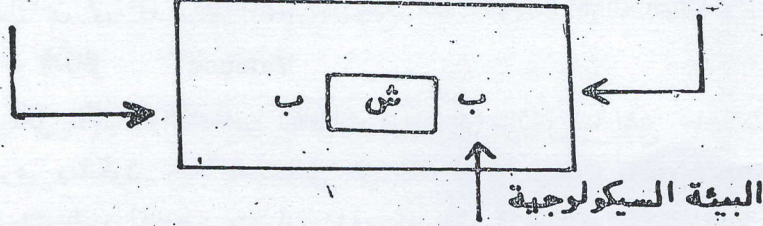
(السلوك) س = $\propto$ ش $\times$ ب

حيز الحياة = الشخص $\times$ البيئة

ح = ش $\times$ ب

البيئة الفيزيائية

البيئة الفيزيائية



ش $\times$ ب = حيز الحياة

يمكن للبيئة الفيزيائية (الوقائع الفيزيائية) ان تؤثر في حيز الحياة، ويمكن لحيز الحياة ان يؤثر في البيئة الفيزيائية. اي انه في لحظة ما يمكن ان تتغير البيئة السيكولوجية نتيجة نفاذ شيء من الخارج، ويمكن ان تتغير البيئة الفيزيائية نتيجة نفاذ شيء من الداخل، وخلال محيط حيز الحياة « يفترض » « ليفين » وجود هذا الغشاء المحيطي الذي ينفذ منه واليه الوقائع المتبادلة.

٢- الحاجة : Need

تعد الحاجات بمثابة حالات دافعية يمكن حدوثها نتيجة حالات فيسيولوجية ولا تصبح حاجات الا اذا احتلت منطقة متميزة في الشخص من الداخل

٥ - الحواجز Barriers

قد تكون الحواجز اشياء، او اشخاصاً، او عرفاً اجتماعياً، واخلاقياً، او اي شيء يعوق الشخص المدفوع في اتجاهه نحو هدفه. وتعد الحواجز بمثابة: تكافؤات سلبية، وينشأ عنها عادة سلوك استكشافي. exploratory behaviour اوربما تقود الفرد الى شن هجوم عليها .

٦ - الاتزان Equilibrium

ان تحقيق الهدف او الوصول اليه يؤدي بالفرد الى حالة من الاتزان، فالهدف الاسمي لكل انواع السلوك المدفوع هو العودة الى حالة الاتزان. حيث يحصل الفرد على ازالة التوتر او خفضه حيث تشبع حاجاته فيعود الفرد لاستعادة توازنه .

يرفض «ليفين» مفاهيم الكثير من النظريات الأخرى فهو لا يقتنع بمفهوم السمات الثابتة او العادات الجامدة او اي ثوابت أخرى. فالواقع النفسي يتغير دوماً، ويرى «ليفين» ان المفاهيم الثابتة تميز التفكير الأرسطاطلي، وان التغير والاثبات يميزان التفكير الجاليلي .

ويركز «ليفين» في المقام الأول على الوقائع (الحقائق) facts سواء كانت محسوسة (عيانية) او مستنتجة او مجردة، ويعد هذه الحقائق في حركة وفي عمل وفي تواصل، مكونة ما يسمى بالأحداث events والأحداث كي تلعب دوراً في شخصية الفرد. تخضع لثلاثة مبادئ :

١ - مبدأ الارتباطية Relatedness

الحدث يتم نتيجة تفاعل بين واقعتين أو أكثر، فالواقعة الواحدة لا تسبب حدثاً، واذا كان الشخص يعيش في بيئة مادية واجتماعية تم بالضرورة

فالرغبة في شيء من البيئة أو البنية (القصد) لتحقيق هدف معين يمكن ان تصبح حالة دافعة وتصبح حاجة ملحة تتطلب الأشباع .

٣- التوتر : Tension

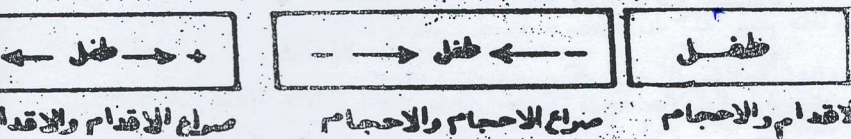
يعبر التوتر عن الحالة الانفعالية التي تصاحب الحاجات دوماً، فحين يحتاج الطفل الى الطعام، يصبح في حالة توتر يمكن خفضها بالطعام. كما يمكن ان ينشأ التوتر ايضاً من اشياء بيئية مغرية يكون لها دلالة كافية للشخص. فقد يكون الطفل منهمكاً في اللعب، ثم تنشأ لديه حاجة عند رؤيته قطعة من الحلوى في يد طفل آخر مثلاً . وقد تنشأ الحاجات مع الراشدين في ضوء اهتماماتهم بما يشبع هذه الحاجات فتزال التوترات .

٤- التكافؤ Valence

لكل الأشياء والأشخاص تكافؤات موجبة او سالبة، فما يشبع حاجات الفرد. وما يكون جذاباً له يحصل على حالة تكافؤ موجبة ، والذي لا يشبع حاجات الفرد كالتهديد مثلاً او مايؤذي الى نفور الشخص ، يكتسب تكافؤاً سلبياً ، وعليه يعد مفهوم التكافؤ مفهوماً تصورياً مجرداً عن الأشياء .

٥- المتجه Vector

يشير هذا المفهوم الى اتجاه وقوة وشدة عملية الجذب للأشياء . فإذا كان هناك متجهاً واحداً فسوف يسير الفرد في اتجاه هذا المتجه ، واذا ماواجه الفرد متجهين متضادين ومتوازنين فالنتيجة الحادثة هي صراع Conflict



علم الذمیه لدی مورای

(تقویۃ الحاجات)

(هزی مورای)

ما بين الهي والأنا العليا. بينما الأنا الضعيفة تترك الساحة للحرب بين الهي و الأنا العليا. فالصراع ليس حتمياً كما يدعي « فرويد » ولكنه يحدث فقط في حالة الأنا الضعيفة كما يصرح بذلك «موراي»

٣- الأنا العليا Super ego يعرف « موراي » الأنا العليا بأنها عملية استدخال internalization للقيم والمجايير والأعراف والتقاليد والعادات، وتشكل قواعد الحكم الخلقي، وتفرض على الطفل في سن مبكرة من جانب السلطة كما تتمثل في الوالدين، وصور السلطة الأخرى، وهنا يتفق تماماً مع «فرويد» الا انه يضيف الى ذلك وجود مؤثرات اخرى تساعد في تشكيل shaping الانسا العليا، ومن ضمن هذه المؤثرات جماعة الأقران ، واساطير وسير الأبطال الخ، وعليه فإن الأنا العليا عند «موراي» تتكون على مدى زمني طويل نسبياً ولا تتحدد بالسنوات الخمس الأول كما يقول «فرويد».

اهم المفاهيم التي طرحها موراي :

اولا - الحاجات Needs

تعد الحاجة عند «موراي» حجر الزاوية في نظريته عن الشخصية، ولا يعد «موراي» اول من ابدى اهتماماً رئيساً بتحليل الدوافع الا ان صياغاته تتضمن عناصر كثيرة مميزة، وبعد تقسيمه للحاجات من افضل واشمل ما هو موجود من تصنيفات وقد استمد هذا المفهوم من دراسته للاسوياء . والحاجة مفهوم افتراضي hypothetical concept وتصور - هذا المفهوم يساعد في تفسير السلوك، والحاجات محكومة بفسولوجيا المخ، ومن ثم توجه وتنظم كل العمليات المعرفية في الفرد (الإدراك، التذكر ، التخيل ، التفكير الذكاء) وقد تنشأ حاجات اخرى من عمليات داخلية مثل الجوع او العطش

او من احداث في البيئة، اذ تؤدي الى ظهور حاجة بدورها تؤدي الى توتر ثم اشباع للحاجة فينخفض التوتر، فالحاجة تدفع بالسلوك الى نشاط معين، وهذا النشاط يسهم في اشباع هذه الحاجة. وقد عرض «موراي» حوالي (٣٥) حاجة منها (٢٠) حاجة تسمى بالحاجات الظاهرة overt needs و(١٥) حاجة تسمى بالحاجات الكامنة (المضمرة) covert needs. ويؤكد «موراي» انه يمكن ان نستنتج وجود الحاجة لدى الفرد من بعض المظاهر التي تتضح في سلوك الشخص ازاء انتقائه واستجابته لنوع معين من المثيرات يصاحبه انفعال خاص، وحين يتم اشباع الحاجة يحس الفرد بالراحة كما يحس بالضيق اذا لم يتحقق الاشباع .

وفيما يأتي اهم الحاجات التي طرحها «موراي» :

١- الحاجة للاذلال (التحقير) Abasement

يحتاج الشخص للخضوع من جانب الاخر ويستمتع بالتأنيب ، وقد يتلذذ الفرد احياناً بسوء الحظ، او بالعقاب او المرض .

٢- الحاجة للانجاز (التحصيل) Achievement

يحتاج الفرد لانجاز اشياء صعبة ، ويود التنافس والانتصار والتحكم والتفوق على الغير

٣- الحاجة الى التواد Affiliation

وفيها يود الشخص الاستمتاع بآخر يشبهه ويحبه ويتمسك به ويصبح وفياً له .

٤- الحاجة الى العدوان Aggression

وفيها يود الشخص الانتقام ويهاجم ويحارب ويجرم او يقتل ويتغلب على المعارضة بالقوة اذا تمكن .

- ٥ - الحاجة الى الأستقلال : Autonomy
وفيها يود الشخص ان يصبح حراً يقاوم الضغوط ويتحاشى الأنشطة
المفروضة من سلطات عليا، ولا يرتبط بالعرف او التقاليد.
- ٦ - الحاجة الي مضاد الفعل Counter-action
وفيها يقاوم الشخص الضعف وينحو نحو السيطرة، ويبحث عن المصاعب
ليخطاها، ويحس بالكبرياء.
- ٧ - الحاجة الى الحماية : Defence
وفيها يقاوم الشخص الأهانة او النقد او اللوم ويغطي الفشل دفاعاً عن
ذاته .
- ٨ - الحاجة الى الأنقياد Deference
وفيها يعجب الشخص بآخر ويسير وفقاً لأرائه، واذا اتسع نطاق هذه
الحاجة يساير الشخص العادات ويخضع بشغف للرئاسة .
- ٩ - الحاجة الي السيطرة : Dominance
وفيها يميل الشخص الي السيطرة على بيئته ، ويوجه سلوك الآخرين
ويتحكم فيهم .
- ١٠ - الحاجة الي الأستعراض Exhibition
ويود فيها الشخص ان يثير اهتمام الآخرين ويتلقى اعجابهم ، ويترك
اثراً فيهم ويرغب في ان يرى ويسمع اعجاباً .
- ١١ - الحاجة الي تجنب الأذى Harm avoidance
وفيها يحاول الشخص تجنب الألم والمرض ، ويهرب من المواقف
الخطرة ويتخذ اجراءات وقائية .

١٢ - الحاجة الى تجنب الأذلال : Infavoidance

وفيها يحاول الشخص الابتعاد عن المواقف التي تسبب له حرجاً، ويتجنب المواقف التي تقلل من شأنه ، او تصغر من امكانياته .

١٣ - الحاجة الي اغداق الرعاية Nurturance

وتتمثل في مشاركة ومساعدة الاخر، والأهتمام به ورعايته، وحبّه واغداق الحنان عليه، ومواساته حين يتألم .

١٤ - الحاجة الي النظام Order

وفيها يميل الشخص الي التنظيم والترتيب والدقة والأتقان .

١٥ - الحاجة الي اللعب Play

وفيها يميل الشخص الي المتعة والراحة والأستماع الي الأغاني والمشاركة في الحفلات واستحسان الدعابة .

١٦ - الحاجة الي النبذ Rejection

وفيها يحتاج الفرد لعزل نفسه عن الأشخاص او الموضوعات ويحاول صد الاخرين والتفوق على الذات .

١٧ - الحاجة الي البحث عن اللذة الحسية Sentiance

وفيها يستمتع الفرد باللذات الحسية ويبحث عنها

١٨ - الحاجة الي الجنس Sex

وفيها يبحث الشخص عن الممارسة الجنسية، وتنمية العلاقات التي تشبع الجانب الجنسي .

١٩ - الحاجة الي طلب اغداق الرعاية (العطف من الاخر) Succorance

وفيها يحتاج الشخص الي تلقي العطف والمحبة من شخص قريب اليه ويستمتع بالحب والرعاية والأحتضان والتسامح .

٢٠ - الحاجة الى الفهم Understanding

وفيها يود الشخص معرفة الجديد ، ويتأمل ويحلل ويسأل ويجب ، وبمعنى آخر يحاول تفهم ماهو قائم .

وهناك مجموعة من الحاجات الكامنة (المضمرة) ترتبط بالعدوان المكبوت والجنسية المثلية، والبحث عن الأذى ... الخ وهي تخص عادة الكلينيكي : حين يتناول بالعلاج الشخصيات المريضة .

ثانياً: الضغط : Press

يمثل هذا المفهوم المؤثرات الأساسية للسلوك ، وهذه المؤثرات توجد في بيئة الفرد بعضها مادي والاخر بشري . وهذه المؤثرات تدفع الشخص ليقترب من او يبتعد عن هدف خاص به وترتبط الضغوط بالأشخاص او الموضوعات . وتؤدي الضغوط اما لتحقيق واشباع الحاجات واما لتجنب هذا الاشباع . والضغوط محكومة بالوضع الأسري وبالوضع الاجتماعي . فالوضع الاقتصادي في الأسرة مثلاً قد يؤدي دوراً في ضغط من نوع ما ثم ان التنافر او التناغم بين افراد الأسرة يؤدي ايضاً إلى ضغط او ضغوط من انواع معينة، والمرض والوفاة والمودة والحب ، كلها تشكل ضغوطاً في أكثر من اتجاه، وهناك ضغوط اخرى خاصة بالأقران والأصدقاء والخصوم والأعداء . كذلك هناك نوع آخر من الضغوط مرتبطة بالحاجات المطروحة سابقاً مثل الانتماء وطلب الرعاية والصدقة ، والجنس الخ ويقسم « موراي » الضغوط على نوعين :

النوع الأول : يسمى بضغوط الفا Alpha press وهي الضغوط كما هي موجودة في الواقع الموضوعي في بيئة الفرد .

النوع الثاني : ويسمى بضغوط بيتا Beta press وهي الضغوط كما يدركها الشخص اي الظاهرياته (الفينومولوجيا) .

فرق «موراي» بين اختزال التوتر اوتخفيفه وبين ازالته. ويرى ان الإنسان في حاجة دوماً الى التوتر بقدر ما، فإذا زاد عليه ان يخفضه ولايزيده اي يخفف من حدته، وتستمر عملية زيادة التوتر وخفضه ثم زيادته مرة اخرى وخفضه وهكذا ويصاحب عادة خفض التوتر حدوث الأشباع اواللذة .

Thema

رابعاً : الموضوع

يعد الموضوع مركباً من الحاجات والضغوط ، ويشكل هذا المركب ارتباط الحاجة بموضوع الأشباع، وعادة مايمثل هذا المركب في العلاقة الثنائية بين الفرد والآخر، حيث يتبادل كل منهما الحاجة (الضغط) اي الأشباع من كلا الطرفين نتيجة ضغط كلا الطرفين وتسمى العلاقة في هذه الحالة بالعلاقة الثنائية (الفرد والآخر)

Dyadic relation

خامساً : تكامل الحاجة Need-integrate

قد لا ترتبط الحاجات بموضوعات نوعية في البيئة ، فكثيراً ما يتوصل الفرد بخبراته إلى ربط موضوعات بعينها لحاجات معينة لديه ، وقد يحدث ان اسلوباً معيناً في الاستجابة يجعل الشخص يقترب او يبتعد من صاحب هذا الاسلوب . وهنا يرتبط هذا الموضوع بالحاجة اذا ما كان الموضوع مشجعاً. ويتم التكامل عادة حين يجد الفرد الآخر الذي يشبع له حاجاته ، وهنا يعد الاول هو المبادىء ويعد الآخر المستجيب، وقد يتبادل الدوران ويتم التكامل بينهما .

سادساً : وحدة الموضوع Unity-thema

وهي مركب من حاجات مترابطة اما في حالة تأزر وانسجام او تضاد وصراع ، وهذا المركب من الحاجات يرتبط بمجموعة ضغوط سبق ان ارتبطت

في هذه الحاجات في مراحل سابقة من النمو ولا سيما في الطفولة . وقد تكون هذه الضغوط في المراحل السابقة محققة لاشباعات او قد تكون محبطة لاشباعات . وهذا المركب يطفح في مراحل لاحقة من حياة الفرد ، اما بالشكل الذي تم فيه في الماضي او بتكوين عكسي له .

سابعاً : العمليات السائدة Regnent processes

وتكون جميع الحاجات النفسية محكومة بالمخ ونشاطاته الفسيولوجية ، ويصاحب أية عملية نفسية عملية فسيولوجية معينة ، ويؤدي ارجاع جميع العمليات النفسية إلى وظيفة المخ إلى تصور او صياغة لعمليات سائدة في المخ ، او عمليات مسيطرة تحكم العملية النفسية . ويوضح «موراي» ان جميع العمليات الشعورية عمليات سائدة ، وليست كل العمليات السائدة عمليات شعورية . فالجانب الشعوري يقتصر مفعوله على بعض العمليات النفسية ، وهناك عمليات نفسية تتم على المستوى اللا شعوري .

أبرز «موراي» في دراسات حديثة له ارتباط مفهوم الحاجات بخدمة بعض القيم التي يتشربها الفرد من الثقافة التي ينخرط فيها . وهذه القيم يكون لها اتجاهات في نشاطها الفيزيقي او السيكلوجي ومن ثم اوجد مصطلحاً جديداً يسمى (الموجه - القيمة) Value-vector وتتمثل الموجهات في : الاستقبال ، والاستحسان ، الرفض ، الامتلاك ، الاستحواذ ، الدفاع ، التجنب ... الخ وتتمثل القيم في الصحة ، والملكية ، والسلطة ، والانتماء ، والمعرفة ، والجمال ، والفلسفة ، والدين ... الخ .

إضافات للشخصية خاصة بموراي :

من الملاحظ ان «موراي» في كتاباته الحديثة نوعاً ، قام باعادة تشكيل وتعديل في صياغة النظرية ، كما حاول اضافة مظاهر جديدة رئيسية في

الفصل الخامس

الشخصية والصحة النفسية

اولا : المنطلقات النظرية

١- الصراع والقلق Conflict & Anxiety

يعد الصراع قانوناً للحياة، فمنذ ظهور الإنسان على سطح الكرة الأرضية وهو يعيش سلسلة من الصراعات مفروضة عليه من الخارج، فالإنسان بالميلاد يكون محايداً neutral بافتراض سلامة بنائه او تكوينه البايواوجي، وبافتراض سلامة وظائف اعضائه (فسيولوجيا أجهزته).

في بداية حياة الإنسان فرض عليه ان يصارع الطبيعة بكل ما فيها من مسببات ومؤثرات، فهي مصدر حياته، وفي الوقت نفسه مصدر مخاوفه (من خلال العواصف، والبراكين، والزلازل، والأمطار الغزيرة، والشمس المحرقة، والرعد، والليل..... الخ) وفي كل الأحيان لم يكن يعرف من هذه المؤثرات الا الشيء القليل، وقد ادى هذا الى ان يقلق، ثمة صراع اخر وجده مفروضاً عليه في تعامله مع الكائنات الحية الأخرى فهناك الحيوانات المفترسة، الأفاعي، ثم هناك، الحيوانات الأليفة التي استطاع في حقبة تالية ان يسخرها عند انبثاق مفهوم الزراعة.

ومع تطور الإنسان بدأ صراع آخر يفرض نفسه ايضاً وتمثل هذا الصراع بين الإنسان والاخر وذلك في ضوء علاقات الإنتاج التي بدأت تشكل حياة البشر في العصور المتتالية. ثم تطورت الصراعات وتولدت صراعات جديدة حين تطور الإنسان واصبح هناك صراع بين الأنظمة وتطورت الصراعات واصبحت تسمى بمسميات متعددة منها الصراع الاجتماعي، والصراع السياسي، الاقتصادي وحيثاً يتطور الصراع الى المواجهة العسكرية (الحروب).

والطبيعي ان يولد الصراع الذي يعاينه الفرد او الجماعة او الدولة صوراً من
الخوف يصاحبها القلق والنظرة المشائمة للحياة وكثيراً مايؤدي هذا الى
ظاهرة الأغتراب alienation .

٢ - الحضارة المعاصرة - Contemporary civilization

ترتكز الحضارة المعاصرة على الانفجار المعرفي المذهل، وما يتبع ذلك
من تطبيقات لهذه المعرفة تكنولوجياً. واصبح العصر الحالي يسمى وبصدق
عصر العلم والتكنولوجيا. والانفجار المعرفي explosion of knowledge
يواكبه في الوقت نفسه انفجار داخلي (ضمني) للقيم implosion of values
وقد اتاح هذا الوضع المزيد من فرص استغلال الإنسان للآخر، او سيطرة
نظام على آخر. ويكون المسيطر باستمرار هو المالك للعلم وللتكنولوجيا، وتمثل
الوان السيطرة او الهيمنة في كل المجالات، كالمجال السياسي والمجال
الاقتصادي، والمجال الثقافي، فهناك دوماً المستغل والمستغل (الاولي
بكسر الغاء والثانية بفتحها) ويتولد عن هذا ايضاً الخوف ومايصاحبه من قلق
سواء بالنسبة للقاهر او المقهور، ويولد ايضاً هذا الوضع النظرة المشائمة
للحياة وكثيراً ما يصاحبها الأغتراب .

٣ - اساليب التنشئة الاجتماعية Means of Socialization

تتباين اساليب او وسائل التنشئة او التطبيع الاجتماعي من مجتمع لآخر
وفق الثقافة السائدة، او وفق الثقافات الفرعية (انظر الفصل الأول من هذا
الكتاب محلهادات الشخصية) .
ولما كانت الثقافة في اي مجتمع تتحدد ملامحها وبصماتها في ضوء
الفلسفة السائدة في هذا المجتمع او ذاك، كان طبيعياً ان تنشأ الأجيال
generations متطبعة بما هو سائد في مجتمعاتها من فلسفات .

التربية عامة هي مجموع الإجراءات المقصودة وغير المقصودة التي تحيط بالفرد منذ ميلاده وحتى وفاته (من المهد الى اللحد). وتبدأ الإجراءات المقصودة بعملية التنشئة الاجتماعية، يلي ذلك نوع التعليم الذي يتعرض له الفرد منذ دخوله رياض الأطفال او الحضانه وحتى يتخرج في الجامعة وسمي هذا بالتربية النظامية او الشكلية Formal Education . ويواكب ذلك مجموعة اخرى من اجراءات ومؤثرات كثيرة فاعلة من خلال وسائل الاتصال الجماهيري Mass communication كما تتمثل في الإذاعة المرئية والمسموعة في السينما والمسرح، وفي سبيل المطبوعات، وفي المعارض والمتاحف، وفي السياحة الخ ويشكل كل ذلك ما يمكن تسميته بالتربية غير النظامية او غير الشكلية Informal Education .

هذه هي مجموعة المنطلقات التي تشكل شخصيته ومن ثم يصبح الشخص نتاجاً مشوهاً للإنسان بالمفهوم الإنساني المتحضر ويؤدي به هذا الوضع الى الدوران حول النفس والى تفتيت الشخصية وعجزها عن الإنتاج ناهيك عن الإبداع .

ثانياً - تكامل الشخصية :

مفهوم التكامل يعني وجود منظومة تتكون من مجموعة منظومات فرعية وهذه الأخيرة بدورها تتكون من منظومات اخرى اصغر وهكذا والتكامل في هذه الحالة يعني ان تعمل جميع هذه العناصر في تناغم واتساق، واذا ما شذ احد هذه العناصر او المكونات، او اذا ماشذت مجموعة من هذه العناصر او المكونات حدث، «اللاتكامل» (التفسخ) وتصبح الشخصية في هذه الحالة «نشازاً» واذا اردنا المقارنة بهذا المفهوم «التكامل» فإن افضل

وجه للمقارنة هو اللحن الموسيقي المدروس جيداً في اي نوتة موسيقية فالمستمع ذو الأذن المرفهة والمثقف في حواسه يلحظ التناغم والاتساق بين جميع الالات الموسيقية التي تعمل كمنظومة متناغمة منسقة لأخراج هذا اللحن المبدع وإذا ماشدت إحدى الالات وخرجت عن «الرتم» حدث تخلخل في اللحن وتحس الأذن المثقفة بهذا «النشاز» dissonance وبمعنى هذا الاتكامل وهذا بالتحديد ما يحدث في الشخصية إذا لم تكن في صورة منظومة متكاملة .

تتضمن التكامل في الشخصية تكامل أربع منظومات هي

١ - المنظومة البيولوجية والفسيولوجية Biological and physiological system

٢ - المنظومة العقلية Mental system

٣ - المنظومة الانفعالية Emotional system

٤ - المنظومة الاجتماعية Social system

وتعمل كل منظومة من المنظومات الأربع بطريقة تكاملية وتتعامل معاً بطريقة تكاملية ايضاً هذا في حالة السواء وإذا ماحدث خلل ما في اي من المنظومات الأربع فإن المرض او اللاسوية يكون هو النتائج الطبيعي لهذا الخلل فالخلل في المنظومة البيولوجية والفسيولوجية يؤدي الى المرض العضوي (كأمراض القلب والكبد والأجهزة الأخرى). والخلل في المنظومة العقلية يؤدي الى الأمراض النفسية والعقلية ، والخلل في المنظومة الانفعالية يؤدي الى بعض الأمراض النفسية والسلوكية ، كما ان الخلل في المنظومة الاجتماعية يؤدي الى الاضطراب العام في السلوك. والمهم ان نشير ان الخلل في اية منظومة يؤثر ويتأثر بالمنظومات الثلاث الأخرى فقد تساعده هذه المنظومات على المقاومة وقد يؤثر الخلل في منظومة ما من المنظومات الأخرى اذ كان

الخلل قوياً. وكل هذا يشير الى التفاعل المستمر والمتبادل بين اجزاء المنظومات الفرعية داخل المنظومة الكبرى وهي الشخصية .

١ - المنظومة البايولوجية والفسولوجية : ~~حرف~~

سبق ان ذكرنا في الفصل الثاني من الكتاب (بناء الشخصية) ان هذه المنظومة تتكون اساساً من الأجهزة المختلفة لجسم الإنسان بأنسجته وخلاياه وكذلك المنظومة الفرعية الخاصة بالغدد الصماء وبتكامل كل من المنظومتين التكوينية والفسولوجية (وظائف الأعضاء والغدد) وكما ذكرنا يؤدي عدم التكامل . الى خلل ما يتمثل اساساً في المرض العضوي وقد يؤدي المرض العضوي بدوره الى خلل في السلوك يشكل اضطراباً في الشخصية. والمرض لا يحدث فجأة كما ~~يظن~~ البعض ولكنه ينمو ويتكاثر اذا اصاب العضو او النسيج او الخلية طارئ غريب (ميكروب مثلاً او فيروس) اذ يقاوم الجسم كل في ضوء المناعة التي تحميه ويبدأ الجسم بمنظومته (البايولوجية والفسولوجية) في المعركة ضد عدوان هذا الميكروب وبأستمرار المعركة ويتكاثر الميكروب وبزيادة افرازاته السامة او الضارة تضعف مقاومة الجسم ويضعف الجهاز المناعي له ويحدث التغير الكيفي وهو المرض. لذلك يصبح المرض خاضعاً للقانون المعروف: « التراكم الكمي يؤدي الى تغير كيميائي » والمقصود بالتراكم الكمي هنا زيادة الميكروب بالتكاثر وزيادة سمومه.

٢ - المنظومة العقلية : ~~حرف~~

العقل كلمة او مصطلح ~~أو~~ لافتة تخلع على وظائف اوانشطة المخ، وبمعنى آخر ان كلمة عقل مفهوم وليست شيئاً ذا كيان مادي كما نقول مثلاً المخ القلب ، الغدة الدرقية الخ هذه الأشياء كيانات مادية يمكن ان نلمسها ونراها ونحللها ولها وظائف محددة، اما كلمة عقل وكلمة شخصية وكلمة

قدرته التمييزية المرتفعة في مجال الإدراك الخاص بهذه الحاسة المعينة (العتبة الفارقة) Threshold .

وينسحب على تدريب العضلات الصغرى والعضلات الكبرى ، فتدريب عضلات الأصابع عند العزف على البيانو لاكتساب هذه المهارة تختلف عن تدريب عضلات الجسم الكبيرة في الذراعين والساقين مثلاً لاكتساب مهارة السباحة أو لعب الجمباز (العاب القوى) .

وكل مهارة من المهارات تتطلب دراسة للنسجة أو الأعضاء التي يقع عليها عبء التدريب ومدته ، ومداها ، ونظام التدريب ، وفترات الراحة ، ونوع الغذاء كل ذلك وفق برنامج زمني وفي سن معين حتى يصل الفرد الى مستوى الأتقان Mastery وتعد المهارات في مجملها أنشطة يقوم بها العقل باعتباره نشاطاً عاماً لمخ الإنسان .

٣ - المنظومة الانفعالية :

إذا كانت المنظومة البيولوجية تتحدد عناصرها أو مكوناتها في أثناء بناء النسجة الجنين وأعضائه (خلال ٢٨٠ يوماً) وقد يتعرض الجنين بعد الميلاد لخلل ما في هذه المكونات نتيجة عوامل يصعب حصرها منها على سبيل المثال نقص للتغذية ، وضعف الصحة العامة ، والتعرض للأمراض ، والإصابة بحوادث قد تسبب عاهات وقد يستمر عمل المنظومة بتناغم أو قد يصيبها الخلل نتيجة المؤثرات السالفة .

وإذا كانت المنظومة العقلية تبدأ في سلسلة متعاقبة متلاحقة ومتفاعلة بمنظوماتها الفرعية إذا تنمو العمليات المعرفية في ضوء الاستثارات الخارجية من البيئة

والثقافة لاسيما في اثناء عملية التطبيع الاجتماعي ، فتنمو لديه عمليات الإدراك والتذكر... الخ (انظر النمو المعرفي عند بياجيه الفصل الثاني من هذا الكتاب) . ويواكب هذا الجانب المعرفي جانبا اخر هو الجانب الوجداني الذي يتكون ايضا لمنظومة فرعية في ضوء عوامل التربية والدعاية التي يتعرض لها الفرد في اثناء حياته وكذا الحال في مهارات الفرد التي تنمو نتيجة التعليم والتدريب والممارسة ، اذا كان هذا هكذا فان المنظومة الانفعالية تبدأ هي الأخرى نشاطها وتكوينها اثناء العام الثاني من حياة الطفل . ففي العام الأول يكون الرضيع مستقبلا للتغذية والراحة معظم الوقت الا ان النقلة الكبرى تحدث له اثناء العام الثاني اذ تحدث في هذا العام عدة مواقف مهمة (يختلف الأطفال فيما بينهم ازاء السن او العمر الزمني الذي يواجه فيه هذه المواقف) من هذه المواقف المهمة يصبح « الفطام » Weaning والتدريب على النظافة Toilet training من اهم المواقف التي تسهم في بناء المنظومة الانفعالية فهذان الموقفان يسببان احباطات متلاحقة للطفل ، هذا بالاضافة الى مواقف اخرى تنجم عن قدرة الطفل على « المشي » كذلك وقدرته على « التعبير » ونتيجة لحركة الطفل في داخل المنزل وتخوف افراد الأسرة من الأضرار التي قد تلحق به نتيجة لمحاولاته الحركية المستمرة ، تكثر النواهي ويحس الطفل ايضا بالمزيد من الأحباطات ، يواكب هذا بعض الوان العقاب الذي قد يؤديه الكبار ازاء الطفل في مواقف متباينة . ويعيش الطفل الوانا من الصراع بين الأشباع والأحباطات وتتولد الأشباع حين تتحقق رغباته في التغذية والملاطفة وتدفي الحنان ، وبمعنى اخر اشباع جميع الحاجات الفسيولوجية والنفسية وتتولد الأحباطات حين يحاول الكبار اخضاع الطفل لتعليماتهم واوامرهم

ونواهيهم اي حين يكثُر المنع ، وهنا تبدأ انفعالات الطفل في التعبير عن نفسها
في اشكال متباينة منها :

الغضب anger ، الخوف fear ، الغيرة jealousy ، الحب love
الكراهية hate على سبيل المثال .

(والأنفعال عبارة عن استجابة غير مسيطر عليها من جانب الفرد كرد
فعل لعائق او مجموعة عوائق تواجهه وتمنعه من اشباع حاجاته الفسيولوجية
او النفسية او الاجتماعية) .

(عزيز حنا داود ١٩٨٥ ، دراسات في القلق) .

وينظر « جيمس ولانج » James & lang الى الأنفعال يعدّه شعور
بتغير ما يحدث في جسم الإنسان نتيجة لبعض المؤثرات الخارجية وهي وجهة
نظر فسيولوجية تعد من وجهة نظرنا قاصرة عن اعطاء تصور شامل عن الانفعال:
ويقدم « هربارت » Herbart مفهوماً للأنفعال يعتمد على التصورات
العقلية اذ يعد هذه التصورات العقلية مؤدية الى الأنفعال ويعد هذا التصور
تصوراً عقلياً صرفاً مبنياً على التصورات Conceptualizations
ويذكر بيرجانيه . Gagne p. ان السلوك الأنفعالي هو سلوك فاشل ويحدث
خلالاً للوظائف البايولوجية والنفسية وهو يختلف كيفياً عن السلوك العاطفي
Sentimental behaviour

ويقول سارتر Sartre : « ليس جسدي هو الذي ينفعل وانما الذي
ينفعل هو الانا "me" اذ يؤلف الانا كلاً موحداً فيه الجسد والشعور معاً .
فالانفعال هو شعوري بالعائق الذي عن طريقه اتعرف على امكانياتي وقدراتي
ويتضح من هذا ان « سارتر » يتناول الأنفعال من وجهة نظر « فينومولوجية »
(انظر مصطفى فهمي - ١٩٧٦ دراسات في سيكولوجية التكيف) .

وينبغي ان نبين ان ثمة تباينات بين مفهومي الانفعال emotion
والعاطفة sentiment .

فالانفعال يعد بمثابة حالة تغير مفاجيء تشمل الفرد كله دون ان يختص بها
جزء معين من جسمه ، ثم ان هذه الحالة الانفعالية تزول بزوال المثير او
المسبب .

فقد يستثير الفرد غضبا اذا ما كان هناك « مثير الغضب » واذا زال هذا المثير
يعود الشخص مرة اخرى الى حالة ما قبل الغضب. (يختلف الأفراد في مدة
بقاء اثر المثير) . ونعني بهذا ان الأفراد يختلفون بعد ازالة مثير الغضب فقد
يعود البعض منهم بسرعة الى حالة ما قبل الغضب وقد يظل البعض فترة زمنية
اطول وهم غضبي وقد ازيل المثير . وينسحب الكلام نفسه على مثير الفرح ،
مثير الخوف ، مثير الغيرة ... الخ .

والعاطفة تتركب عادة من مجموعة انفعالات منظمة تنمو بطريقة تراكمية
نتيجة التكرار المستمر لنوع خاص من الخبرات. فعاطفة الحب مثلا لا تنمو في
لحظة ما ولكن نتيجة لتكرار وتراكم خبرات سارة مستمرة بين شخصين
في مواقف متعددة وفي مدة طويلة نسبيا، تنمو عاطفة الحب ، وهي تختلف
عن انفعال الحب اللحظي الذي يكون عادة رد فعل لمثير حب. ويمكن ان
ينسحب التحليل نفسه على عاطفة الكراهية، فالكراهية لا تنمو فجأة ولكنها تنمو
بتكرار وتراكم خبرات غير سارة ومؤلمة بين فرد واخر وهكذا الأمر بالنسبة
لباقى العواطف .

بعض انواع الانفعالات المهمة التي تشكل المنظومة الانفعالية : -

الغضب :

لا يوجد غضب في داخل الإنسان ولكن يستثار انفعال الغضب حين
يعترض حاجات الفرد عائق ما . ويبدأ هذا الانفعال في سن مبكرة حين

يبدأ الطفل احساسه بذاته وبمطالبه وحين يحس في الوقت نفسه بان مصدر اشباع حاجاته او عدم اشباعها موجود في بيئته (تبدأ البيئة الأولى وهي الأسرة). وكما ذكرنا فانه بداية من منتصف العام الثاني على وجه التقريب يبدأ احساس الطفل بهذه الاشباع التي تؤدي الى السرور والراحة والطمأنينة وعدم الاشباع (الحرمانات) التي تؤدي الى الغضب والقلق والاحباط. والاحباط مفهوم يتضمن ادراك الفرد لوجود عائق يحول دون اشباع حاجاته. طفل ما قبل المدرسة تفرض عليه مجموعة حدود وقيود متمثلة في مواعيد الأكل ، والنوم ، واللعب ، وضبط عمليتي التبرز والتبول ، وحين يلتحق الطفل بالمدرسة تزداد عليه الحدود والقيود ، فلا بد من ان ينضبط ويتعاون هو والآخرين ويستمع الى التعليمات وينفذها ويضطر للجلوس ساكناً في الصف اي لابد وان يلتزم بالزمان والمكان المفروضين (تزداد هذه الضغوط والقيود مع التربية التقليدية وتقل مع التربية التقدمية والعصرية) .

ويتعرض الراشد ايضاً لمواقف احباطية كثيرة تقف امام تحقيق الكثير من اهدافه في صور شتى ، فقد يحول عدم توافر المال الى العجز عن امتلاك ما يريده الشخص او يحول دون قيامه برحلة يرغب فيها أو بتحقيق امنية كالزواج مثلاً . وكما لا يحدث هذا الاحباط لابد من ان يدرك الفرد الظروف والمواقف التي تحيط به . ويختلف الأفراد في مواجهة المواقف المحيطة frustrating situations فبعضهم قد يستثار غضباً والبعض الآخر قد لا يستثار بالقدر نفسه وبعض ثالث قد لا يعنيه الأمر (وهو ما نقول عنه انه بارد) . فرسوب طالب في الامتحان قد يسبب له احباطاً كبيراً ويستثير هذا الموقف غضبه وقد يطعن في اللجنة الادائية اوفي المصحح ، في الوقت الذي لا يواجه فيه طالب راسب آخر هذا الموقف بهذه الحدة من انفعال الغضب ، وقد

يكون عدم وجود جهاز مركزي للتكيف في عمارة مامشيراً للغضب لبعض السكان ولا يعني هذا الموقف شيئاً بالنسبة لسكان آخرين في العمارة نفسها ولذلك يتوقف انفعال الغضب على عدة عوامل : حاجات الفرد ، خبراته دوافعه ، اشباعاته السابقة ، ثقته بامكانياته ، واخيراً نظرة الفرد الى الموقف والطبيعي ان هذه العوامل مجتمعة تحكم انفعال الغضب ودرجته كلما زاد الفرد في العمر ، ولكنها لا توجد بالقدر نفسه بالنسبة للطفل الصغير . ونحن نلاحظ بوضوح ان الطفل الصغير حين يغضب يصرخ ويضرب الأشياء ، اما الراشد فعادة مايكبت غضبه او قد يعبر عنه بكلمة صريحة او ملتوية الا في حالات مرضى العصاب الذين يتصرفون في المواقف المحبطة بغضب شديد كالاطفال

الخوف :

يعد الخوف من الانفعالات المهمة التي تنمو مع الفرد في اثناء عملية التطبيع الاجتماعي . والمهم ان نفرق بين الخوف fear والخوف المرضي (الخواف - الرهاب) phobia فالاول : يتسم بالموضوعية ويسمى عند بعض علماء النفس « بالقلق الموضوعي » objective anxiety وقد اشارت الى هذا المفهوم « كارين هورني » بعدها القلق الموضوعي « مثل الخوف من سيارة مسرعة تقترب من شخص يعبر الشارع ، او الخوف من رؤية حيوان مفترس هائج ، كل ذلك يعد خوفاً طبيعياً او قلقاً موضوعياً . اما النوع الثاني من الخوف : (القويا) فهو خوف مرضي ، « القلق العصابي » neurotic anxiety ويظهر في صورة مخاوف عامة غير مرتبطة بموضوع محدد يشيع قلماً في الفرد غامضاً لا يوجد سبب خارجي واضح له ، ويكون في هذه الحالة « خوفاً هائماً Pervasive كما قد يتمثل في انواع من المخاوف المرضية كرهبة حشرة مثلاً او يقع دم وهنا يكون حجم الخوف (القلق) اكبر كثيراً من المثيرات المسببة له : كما

ان هناك نوعاً ثالثاً من المخاوف المرضية: هو الخوف من توقع حدوث شيء فيحس المريض العصابي بالتهديد والخوف من الهجر بالنسبة للمحبوب مثلاً .

يؤدي الخوف وما يصاحبه من قلق او يؤدي الخوف الذي يساوي القلق مجموعة من الأعراض بعضها جسمي وفسولوجي تتمثل عادة في برودة الأطراف تصبب العرق ، اضطرابات في المعدة ، اضطرابات في النوم ، صداع ، سرعة ضربات القلب . كذلك بعض الأعراض النفسية المصاحبة للخوف منها توقع الأذى، الشك ، عدم القدرة على تركيز الانتباه، والأحاساس بتوقع الهزيمة والأحاساس بالعجز ، وعدم الثقة بالنفس ، والأحاساس احياناً بالاكنتاب ..

الغيرة :

تعد الغيرة من الأنفعالات المركبة التي تدخل في التنظيم الانفعالي ويتركب هذا الانفعال من الأحساس بالخوف مع الأحساس المستمر بعدم الثقة بالذات وتتكون هذه المشاعر المركبة من سلسلة احباطات تلاحق الفرد منذ نعومة اظفاره وتبدأ المظاهر الأولى للغيرة في الطفل حين يواجه عادة بزائر جديد (الطفل الثاني عادة في الأسرة) ويتم عادة في الأسر العربية حين يأتي الطفل الثاني عقب الأول بعد عامين ، ويكون الطفل الأول في هذه الحالة قد اصبح مستقلاً الى حد ما ، فهو يستطيع ان يأكل بنفسه او بمساعدة قليلة ، كما انه يستطيع الحركة (المشي) ويستطيع ان يعبر عن نفسه تقريباً ، وحين يصل المولود الجديد تتركز عادة عناية الأم بهذا الضيف لانه في مزيد الحاجة لرعايتها هنا يحس الطفل الأول او الأكبر بان عرشه قد اهتز بسبب الرعاية التي سحبت منه ووجهت نحو المولود الجديد وهنا يبدأ ظهور مشاعر الغيرة ، واذا

كان الطفل في مرحلة الاعتمادية فانه ينكص (الأرتداد الى مرحلة سابقة فيمتنع عن الأكل الا اذا اطعم . وقد يعود مرة اخرى للتبرز على نفسه بع ان كان قد ضبط - في احوال كثيرة - عملية الأخراج . وقد يمتنع عن الكلام بعد ان كان قد استطاع ان يتكلم ببعض الألفاظ وكل هذا يعني ان الطفل يريد ان يعود مرة اخرى الى المرحلة التي كان يجد نفسه فيها محاطا بكل الوان الرعاية والحماية والحب والحنان ، ويظن انها قد انتزعت منه من خلا هذا الدخيل . اي ان مشاعر الغيرة (انفعال الغيرة) يعبر بها عن نفسه من خلال هذه المظاهر .

يحدث احيانا ان ينمو انفعال الغيرة حين يقارن الوالدان اولادهما بعضه ببعض اوحين يقارن الآباء اولادهم باولاد الأقارب والجيران اذا كانوا في سن واحدة .

فابن الجيران اكثر طاعة او اكثر ذكاء ، وبنت العم اكثر جمالا وشعرا اكثر نعومة وانفها اصغر ... الخ من تعليقات لا يحس الآباء ازاءها بمد الأيذاء الشديد الذي تسببه هذه التعليقات بالنسبة للولد والبنت الذين يقارنوا الآخر به ، ويتدعم انفعال الغيرة مع المزيد من هذه التكرارات .

ويزداد تعمق هذا الأنفعال في الطفل حين يذهب الى المدرسة وتبا هذه المقارنات بينه وبين اقرانه في الصف ، هذا اشطر ، هذا اكثر نظافة هذا اذكى ، هذه اجمل ، وغيرها من عبارات قد يطرحها المعلمون بجانب الآباء وتزداد مشاعر الغيرة بين الخاسرين في المقارنة .

فانفعال الغيرة ليس انفعالا موروثا بل هو مكتسب بالضرورة ويؤدي الى احساس المقارن به بالمشاعر الدونية inferiority اذا ماتكرر الخطأ من جانب الكبار ازاء الطفل او الراشد ، وتتكون في الآخر المقارن به مشاعر العظم superiority خصوصاً اذا ماتكرر ذلك .

وتزداد ايضاً مشاعر الغيرة بين الكبار خصوصاً في النظم التي تتسم بالفردية
والطبقية فالمنافسة الفردية في اي مجال من المجالات العلمي، الرياضي، مسابقات
الجمال، الثراء... الخ كلها تؤدي الى الأحسن والأردى، الأعلى والأدنى .
وينسحب نفس الكلام حين يرتب المدرس تلاميذ الصف فهناك الأول وهناك
الأخير بل وتخطيء بعض المدارس حين تجعل بعض الصفوف خاصة
بالمتموقين واخرى خاصة بالمتخلفين ويستمر « الديالوج » وقد وعت الدول
المتقدمة هذا الأمر وبدأت تعني بالعمل الجمعي والتدريس الجمعي والمنافسة
الجمعية حتى في المجال الرياضي فدخل الفرد في اي مستوى عمري
داخل فريق ضد فريق اخر لا يولد لديه هذه المشاعر (الأحساس بالنقص او
العظمة) لان الفشل او النجاح لا يعزى الى فرد في الفريق الأول او فرد في
الفريق الثاني فيتوزع الفشل والنجاح، والتفوق والتخلف على المجموعة فتخف
حدة انفعال الغيرة وكذلك تخف حدة مشاعر الدونية او مشاعر العظمة .
وينسحب الكلام نفسه على الأفراد في داخل الأسرة الواحدة حين تقارن
الأسر بعضها ببعض الآخر اذ قد تغار الزوجة من زوجة اخرى لها نصيب
افضل من الجمال او الثراء او مركز الزوج... الخ من تباينات ويرجع كل
ذلك الى اسلوب التربية الخاطيء الذي يغرسه الاباء عادة ثم المعلمون فالمدرسون
بعد ذلك حين يقارنون الأفراد بعضهم ببعض .

الحب

يشيع خلط ما بين مصطلحين « حب » Love وتواد Affection
اذ ان المقصود بالتواد نوع من العلاقة الاجتماعية تنشأ بين فردين او اكثر
وتبدأ عادة في بداية حياة الإنسان في علاقته بالام ثم بالاب والأخوة ثم
الأصدقاء وهكذا وتتسم العلاقة هنا بالتبادلية وتتم بين افراد من الجنس نفسه

او من جنس مغاير وافضل وصف لها هو الصداقة بين الأقران ويكون اهم مظهر لهذه العلاقة الأهتمام المشترك والمودة والدفاع المشترك ضد من يهاجم احد الطرفين . وهي علاقة تتسم بالاجتماعية بافتراض ان الإنسان كائن اجتماعي يعيش وسط الآخرين . اما « الحب » وهو على مستويين الأول منها قد يكون لحظيا لاشباع حاجة الجنس وقد ينمو ويتطور ويتحول الى عاطفة وهو ما يحدث عقب رضاعة الطفل من امه وعقب نشوء عاطفة الأمومة (وهي محكومة بالرضاعة) ، ونتيجة للاشباع التي يتلقاها الرضيع من الأم ونتيجة للرعاية والعمليات المصاحبة لها من (تقبيل ، ودغدغة، وتلامس جسدي ، وحنان... الخ) تنمو لدى الطفل ولدى الأم عاطفة الحب .

كما قد تنمو هذه العاطفة ايضاً بين الراشدين ولا بد من ان يواكبها تكرارات لخبرات سارة مريحة ومشبعة بين الطرفين ويترجم ذلك عن نفسه من خلال الدفء العاطفي والحنان المتبادل والتعاطف والأرشاد وقد يصل الى الأشباع الجنسي المشروع (الزواج) . ويختلف مفهوم « الحب » عن مفهوم « الشهوة Passion التي تتسم اساساً فقط بالرغبة الجنسية العارمة والتي تنتهي بمجرد الأشباع . ويختلف عن مفهوم « الشهوة » lust اذ ان هذا المفهوم الأخير يتضمن الرغبة العارمة في الاستحواذ على اشياء متنوعة احدها الجنس ، وقد تكون هناك شهوة جمع المال او جمع للتحف مثلاً او حتي لبعض انواع الملابس وهي مفهوم مرضي لانه يعبر وبالدفقة عن أنواع متباينة من القلق والخوف وعدم الأمن ، ويعد الاستحواذ هنا على الأشياء كمتلكات بمثابة تأمين للشخص .

والحب بالمعنى المطروح في الأسطر السابقة هو المقصود بالنسبة للاسوياء اذ يدخل ضمن نسيج المنظومة الانفعالية .

الكراهية :

هناك خلط ايضاً بين مفهوم الكراهية hate ومفهوم العدائية hostility فالكراهية ممكن ايضاً ان تكون لحظية نتيجة احباط في موقف ما للفرد وقد تزول بزوال العائق المحيط . وقد يكون العائق المحيط فرداً ما او مايمكن ان نخلع عليه لفظ الحظ العاثر او القدر مما يكسب الشخص مفهوم التشاؤم pessimism واذا ما تكررت مواقف الإحباط التي تمنع او تعوق الأشياء بكامل صورها، فإن مصدر الإعاقة والإحباط تتولد ازاءه عاطفة الكراهية. ومن ثم تعد عاطفة الحب وعاطفة الكراهية بمثابة مفهوم واحد له أكثر من مظهر ويتكون من تكرار الخبرات السارة وغير السارة وذلك لأن المفهوم يعد سياقاً وليس فئة. اما «العدائية» فهي مفهوم أكثر تركيباً من الكراهية لأنه يتضمن الرغبة في الإيذاء ، ولو ان هذه الرغبة قد تكون كامنة وقد تظهر في الأحلام ويمكن قياسها في الشخص بالطرق الأسقاطية ومن اهم صورها التي تلاحظ كـليـنـيـكـيـا العدائية ضد الصور الوالديه مما يعكس عدائية الفرد نحو الأب او الأم وقد تراح هذه العدائية نحو اخرين يمثلون الأب او الأم كما تكشف عن ذلك الدراسات الكلينيكية .

ولكن مفهوم الكراهية كما هو الحال مع مفهوم الحب باعتبار ان كل منهما يصبح عاطفه، اذ انها مكتسبة بتكرارات الخبرات كما ذكرنا السار منها او الضار فأنهما قد يتضادان اذا ما تغيرت مجموعة الظروف التي سببت كل منهما ويتطلب الوضع فترة زمنية طويلة نسبياً يعاد فيها تنظيم المنظومة الانفعالية للفرد .

وجميع مكونات المنظومة الانفعالية يمكن الكشف عنها بتعريض الشخص لمواقف مثيرة اما من خلال المواقف الاسقاطية (كأختبار الرورشاخ والتات) (TAT) . وكذلك من خلال مواقف اللعب بالنسبة للاطفال ومن خلال التمثيليات التي يقوم الافراد بأدوار ينتقونها بأنفسهم من خلال الجلسات العلاجية تتضح مظاهر هذه المنظومة في الأحلام، فلتات اللسان، تعابير الوجه حين يسأل الشخص اسئلة محددة بهدف الكشف عن انفعالاته. واحياناً ما يكون العجز عن التعبير له دلالة سيكولوجية بنفس القدر الذي تكون له الدلالة حين يعبر الشخص عن هذه الانفعالات والعواطف .

٤ - المنظومة الاجتماعية الثقافية : حروف

المقصود بهذه المنظومة جميع العوامل والمؤثرات التي تحيط بالفرد منذ ميلاده والتي تتمثل اساساً في محاولات الأسرة تطبيع افرادها. وعملية التطبيع هذه محكومة بنوع الثقافة السائدة في المجتمع الذي تنخرط فيه الأسرة . ويشارك في عملية التطبيع الاسري اجهزة ووسائل كثيرة في نفس المجتمع فيها التربية النظامية او الشكلية Formal Education كما تتمثل في المدرسة والمعهد والجامعة والتربية غير النظامية او غير الشكلية Informal education كما تتمثل في اشوات الثقافة وادوات الإعلام وعمليات التدريب المهني والفني والجمعيات والنوادي والأحزاب ودور العبادة والاتحادات والنقابات الخ من مؤسسات اجتماعية وثقافية. واذ ان هذه المؤسسات الاجتماعية تتباين من مجتمع لآخر ومن ثقافة لأخرى فإن الطابع المميز للشخصية يرجع في الأساس الى هذه المنظومة بالتحديد. فالمنظومة البايولوجية على سبيل المثال تكاد ان تكون موحدة بين افراد الجنس البشري ، والمنظومة العقلية هي في الأساس نشاط